

العدة
شرح
الجامع لعبادة الله وحده

للإمام النجدي رحمه الله

إعداد
أم عامر المروعية
غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

تقديم العلامة المحدث
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري
حفظه الله

الطبعة الأولى
حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



مقدمة الشيخ يحيى بن علي الحجوري

"بسم الله الرحمن الرحيم"

الحمد لله

اطلعت على الشرح المضاف على هذه الرسالة المنسوبة للعلامة:

محمد بن عبد "الوهاب النجدي رحمه الله"

بعنوان: (الجامع في العبادة)

هذا وشرح أم عامر على الرسالة شرح طيب منقول من كلام أهل العلم جزاها الله
خيراً ونفع بها المؤمنات وبالله التوفيق.

كتبه يحيى بن علي الحجوري

في ٢١/من شهر ذي القعدة /١٤٣٤هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة الشارح

الحمد رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجوا بها الخلاص يوم الدين، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وأصحابه والتابعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإنني أحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه على نعمه التي لا تحصى وآلائه التي لا تعد، ومن أعظم تلك النعم وأجلها أن وفقني للسنة ومنهج السلف، وبغض إلى البدعة ومنهج الخلف. ثم إنني أحمد الله جل وعلا أن حبيب إليَّ العلم ويسر لي أسبابه، في أعظم معاقل العلم في هذا العصر دار الحديث بدماج، على يد مؤسسها علامة اليمن أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، ثم على يد خليفته من بعده العلامة الناصح الأمين أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري حفظه الله ودفع عنا وعن هذه الدار وسائر من فيها كل سوء ومكروه.

وقد يسر الله لي أن أقوم بتدريس وشرح جملة من الكتب العلمية في هذه الدار، ومن ذلك هذا الكتاب الذي بين أيدينا، فرغب إليَّ بعض الطالبات طابعته، والبعض الآخر من أخواتنا الغرباء ترجمته فاستعنت بالله على تنقيحه وتوثيق فوائده ليعم النفع به،

وأسميته: «العدة شرح الجامع لعبادة الله وحده». أوضحت فيه معانيه، وأظهرت فيه مبانيه، مستشهداً بأقوال علماء هذه الأمة ومحققينا، فأسأل الله عز وجل أن ينفع به، وأن يجعله ذخراً لنا في الآخرة،

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر لشيخنا يحيى بن علي الحجوري على ما فرغ من وقته الثمين لمراجعة هذه الرسالة، والتنبيه على بعض الأمور فيها فجزاه الله خيراً ورفع قدره.

وكذلك زوجي الفاضل أبي عامر عبد الله الحكمي حفظه الله على ما قام به من مراجعة لهذا البحث والتنبيه لما يحتاج إلى تصويب، وكذلك كل من بذل لي أدنى معونة فجزاه الله الجميع خيراً. وكذلك أتوجه بالشكر لمن تكفل بطباعته، خدمة للعلم، وإعانة لطلابه فجزاه الله خيراً، وبارك فيه وفي ولده، وغفر له ولوالديه.

فأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعاً لكاتبه وقارئه ومتعلمه في الدارين والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبته: أم عامر المروعية

غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

١٥ / ذي القعدة / ١٤٣٤ هـ

دار الحديث بدماج حرسها الله

ترجمة موجزة عن المؤلف

[اسمه ونسبه ومولده ونشأته وطلبه للعلم]

اسمه ونسبه ومولده ونشأته هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي.

ولد سنة ١١١٥ هـ الموافقة سنة ١٧٠٣ م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض، ونشأ في حجر أبيه في تلك البلدة.

وقد ظهرت عليه علامات النجابة والفطنة في صغره؛ فقد حفظ القرآن الكريم قبل بلوغ العاشرة وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة، قال أبوه: رأيته أهلاً للصلاة بالجماعة، وزوجته في ذلك العام.

طلبه للعلم درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكيباً على كتب التفسير والحديث والعقائد، وكان كثير الاعتناء والمطالعة بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم.

[رحلاته]

رحل إلى مكة قاصداً حج بيت الله الحرام، ثم زار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتقى هناك بعلماء المدينة النبوية، واستفاد منهم، ثم رحل إلى البصرة فأقام

فيها مدة درس العلم فيها على جماعة من العلماء ، ثم رحل إلى نجد مروراً بالأحساء ، وفي رحلته الطويلة هذه رأى الشيخ بثاقب نظره ما بنجد والأقطار التي زارها من العقائد الضالة والعادات الفاسدة ، فصمم على القيام بالدعوة إلى التوحيد ونبد

الخرافات والشركيات ؛ فعندما زار المدينة كان يسمع الاستغاثات الشركية برسول الله صلى الله عليه وسلم من دون الله .

وقد كانت نجد مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تناقض أصول الدين الصحيحة ، فقد كان فيها بعض القبور التي تنسب إلى بعض الصحابة ؛ يحج الناس إليها ، ويطلبون منها حاجاتهم ، ويستغيثون بها لدفع كربهم .

كما رأى في البصرة - وسمع عن العراق والشام ومصر واليمن - من الوثنية الجاهلية ما لا يستسيغه العقل ولا يقره الشرع ،

ووازن تلك الأفكار المنكرة بميزان الوحيين ؛ كتاب الله وسنة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم ، وسيرة أصحابه المتقين ؛ فرآها بعيدة عن منهج الدين وروحه ، ورأى فاعليها لم يعرفوا لماذا بعث الله الرسل ؟ ولماذا بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم للناس كافة ؟ ورأى أنهم لم يعرفوا حالة الجاهلية وما كان فيها من الوثنية الممقوتة ، رآهم غيروا وبدلوا أصول الدين وفروعه إلا القليل .

وقد ابتدأ الشيخ رحمه الله دعوته ، يبين لهم أن لا يدعى إلا الله ، ولا يذبح ولا ينذر إلا له . ومن عقيدتهم في تلك القبور والأحجار والأشجار الاستغاثة بها وصرف

النذور إليها ، واعتقاد النفع والضرر ، فيبين أن ذلك كله ضلال وزور ، وبأنهم في حالة لا ترضي الله ، فلا بد من نبذ ذلك ورده .
عزز كلامه بالآيات من كتاب الله ، وأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله ، وسير أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين .

[عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه]

عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه عقيدة الشيخ هي كعقيدة السلف الصالح، وهي ما كان عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه والتابعون والأئمة المهتدون؛ كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وابن المبارك والبخاري ومسلم وأبي داود وسائر أهل " السنن " وأمثالهم ممن تبعهم من أهل الفقه والأثر كابن خزيمة وتقي الدين بن تيمية وابن القيم والذهبي - وغيرهم - رحمهم الله تعالى جميعا وهذا ظاهر في مؤلفاته.

[وفاته]

وبعد حياة مليئة بالعلم، والجهاد، والدعوة إلى الله سبحانه، توفي الشيخ - رحمه الله - في بلدة الدرعية سنة (١٢٠٦ هـ) .

نسأل الله له الرحمة والرضوان، وأن يجمعنا وإيَّاه في غرف الجنان، برحمة ربنا العظيم
المتَّان

قال شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى (١):

بسم الله الرحمن الرحيم.....

الكلام على البسملة في مسائل:

*الأولى البدء بالبسملة في الرسائل، والمؤلفات مستحب لأمر:

○ اقتداء بكتاب الله عز وجل:

حيث أن جميع سورة افتتحت بالبسملة إلا التوبة، وأن أول آية فيه نزلت افتتحت بالبسملة،

قال الحافظ ابن حجر رحمته: أول شيء نزل من القرآن «اقرأ باسم ربك»، فطريق التأسى به الافتتاح بالبسملة. اهـ. راجع فتح الباري (١/ ٨).

(١) الكتاب ضمن مؤلفات الإمام النجدي الرسالة السابعة بعنوان "الجامع لعبادة الله وحده" - جمع الشيخ

إسماعيل الأنصاري رحمته - الناشر جامعة محمد بن سعود بالرياض، وقد شرح الرسالة العلامة الفوزان حفظه الله .

○ اقتداء بأنبياء الله عز وجل :

فقد جاء في كتاب الله عز وجل في رسالة سليمان عليه السلام لملكة سبأ أنه قال فيها قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل : ٣٠]. وجاء في سنة النبي ﷺ أنه كان يتدأ بها رسائله؛ كما في رسالته لهرقل • متفق عليه يرويه ابن عباس عن أبي سفيان، رواه البخاري برقم (٧)، ومسلم برقم (٤٥٨٣) •

○ اتفاق العلماء على استحباب ذلك .

قال القرطبي رحمه الله: اتفقت الأمة على جواز كتبها في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل... اهـ. راجع تفسير القرطبي عند تفسير سورة الفاتحة • قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل. اهـ فتح الباري (١ / ١) •

○ للتبرك بذكر اسم الله عز وجل والاستعانة به على الأمور المهمة .

قال ابن كثير رحمه الله: فَاَلْمَشْرُوعُ ذِكْرُ اسْمِ اللَّهِ فِي الشُّرُوعِ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ تَبَرُّكًا وَتَيْمُّنًا وَاسْتِعَانَةً عَلَى الْإِتْمَامِ وَالتَّقْبُلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ. اهـ

راجع تفسير ابن كثير / ط العلمية (١ / ٣٥) ، حاشية بن قاسم على (الأصول الثلاثة) ص: ١٣ .

فائدة : الفرق بين الرحمن والرحيم :

- أن الرحمن خاص بالله جل وعلا فلا يجوز أن يسمى أو يوصف به غيره، بخلاف الرحيم فيجوز ذلك كما في قوله تعالى : {المؤمنين رءوف رحيم} .
- أن الرحمن : دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم : دال على تعلقها بالمرحوم.
- راجع تفسير البسملة تفسير ابن كثير، وبدائع الفوائد (١ / ٢١ - فما بعدها) ، وفتح المجيد (ص: ٦ - فما بعدها)، وشرح الواسطية للعثيمين (١ / ٣٧).

الحمد لله رب العالمين

الكلام على الحمد في مسائل :

*الأولى : يُستحب افتتاح الخطب والرسائل والمؤلفات بالحمد لأمر:

❶ إقتداءً بكتاب الله عز وجل :

حيث أن أول سورة افتتح بها المصحف افتتحت بالحمد ، وأن جملة من سور القرآن افتتحت بالحمد.

❷ واقتداءً بسنة الرسول ﷺ :

حيث أنه كان يبدأ خطبه بخطبة الحاجة التي تُفتح بالحمد (إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ...) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن عبدالله بن مسعود .

وللشيخ الألباني رسالة مستقلة جمع فيها طرقه وحكم بصحته ، وصححه شيخنا الوادعي في الصحيح المسند برقم (٤٢).

***الثانية:تعريف الحمد :**

قال ابن القيم رحمته : هو الإخبار عن محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه. اهـ
بدائع الفوائد (٢ / ٩٥) .

***الثالثة:الفرق بين الحمد والثناء :**

اشتهر عند كثير من المؤلفين أن الحمد : هو الثناء باللسان على الجميل الاختياري
نعمةً كان أو غيرها .

وهذا التعريف منتقد ؛ لأن الثناء هو تكرار الحمد وليس هو الحمد ذاته ، وقد جاء في الحديث القدسي : ((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال : " الحمد لله رب العالمين " قال الله : " حمدني عبدي " وإذا قال " الرحمن الرحيم " قال الله : " أثني على عبدي " ... الخ)) فجعل تكرار الحمد ثناء. رواه مسلم عن أبي هريرة برقم (٨٧٦) .

***الرابعة:الفرق بين الحمد والمدح :**

- أن الحمد يكون مع المحبة للمحمود ، وأما المدح فلا يلزم فيه ذلك ؛ فقد يمدح الكافر والمبتدع والفاسق على أمرٍ مع بغضه .

- أن الحمد يكون للحي فقط ، والمدح يكون للحي وغيره كاللؤلؤة والياقوتة .

- أن الحمد ممدوح مطلقاً لأنه مأمور به ، وأما المدح فقد يكون في بعض الأحيان منهياً عن لقوله ﷺ : « إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَدَّاحِينَ ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ » رواه مسلم عن المقداد (٣٠٠٢) ، ورواه البخاري في الأدب وابن حبان عن ابن عمر ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩١٢) ، وشيخنا الوادعي في الجامع الصحيح (كتاب الأدب - باب تحريم المدح ..) وجاء عن أبي هريرة وعبادة راجع الصحيحة رقم (٩١٢) .

- أن الحمد يكون على الجميل الاختياري الذي اكتسبه المحمود ، لا شيئاً وجد فيه من غير اجتهاد منه في تحصيله ، أما المدح فيكون للجميل الاختياري والحُلقي .

تنبيه :

الجميل ينقسم إلى قسمين :

أ- جميل اختياري :

وهو ما يستطيع العبد أن يكتسبه كالشجاعة والبذل .

ب - جميل حُلقي :

وهو ما لا يستطيع العبد أن يكتسبه كطول القامة .

***الخامسة : الفرق بين الحمد والشكر :**

بينهما عموم وخصوص وجهي: يجتمعان في الثناء باللسان على النعمة ، وينفرد الحمد في الثناء باللسان على ما ليس بنعمة من الجميل الاختياري ، وينفرد الشكر بالثناء بالقلب والجوارح على خصوص النعمة .

فالحمد أعم متعلقاً وأخص آلة والشكر أخص متعلقاً وأعم آلة. فالشكر يكون بالقلب : خضوعاً واستكانةً ، وباللسان : ثناءً واعترافاً ، وبالجوارح : طاعةً وانقياداً ومتعلقه النعم . راجع "مدارج السالكين" (٢ / ٢٠٣) .

***السادسة: الحمد نوعان :**

أ - حمد على إحسانه إلى عباده وهو من الشكر .

ب - حمد لما يستحقه بنفسه من نعوت كماله . راجع "الكواشف الجليلة" (ص : ١٨) .

***قوله : { رب العالمين }**

الرب في اللغة يطلق على : السيد والمالك والخالق والمدبر ووالمنعم .

والرَّبُّ: الْمُصْلِحُ لِلشَّيْءِ. والله جَلَّ ثَنَاؤُهُ الرَّبُّ؛ لأنه مصلحُ أحوالِ خَلْقِهِ. اهـ

وهذا الإسم إذا أطلق لا يكون إلى الله جل وعلا .

وهو المستحق للعبادة قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } [البقرة: ٢١] .

قال ابن كثير رحمته: الخالق الرازق مالك الدار، وساكنيها، ورازقهم، فهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يُشْرِك به غيره؛ ولهذا قال: { فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ } . اهـ
و { العالمين } : قال العلماء:

كل ما سوى الله فهو من العالم؛ وُصفوا بذلك؛ لأنهم عَلم على خالقهم سبحانه وتعالى؛ ففي كل شيء من المخلوقات آية تدل على الخالق: على قدرته، وحكمته، ورحمته، وعزته، وغير ذلك من معاني ربوبيته..

قال ابن كثير رحمته: [ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار رب كذا، وأما الرب فلا يقال إلا لله عز وجل، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم]
والمالين:

جمع عالم، [وهو كل موجود سوى الله عز وجل] ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه،
والعوالم أصناف المخلوقات [في السماوات والأرض] في البر والبحر، وكل قرن منها
وجيل يسمى عالماً أيضاً. اهـ

الأدلة على معرفة الرب:

١- الفطرة:

الدليل الفطري : وهو ما يجده كل مخلوق في نفسه من الاعتراف بالله وبأنه الخالق
المعبود وهو مركز في كل الفطر قال تعالى : { فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله

التي فطر الناس عليها { . وفي الحديث : [كل مولود يولد على الفطرة ..] متفق عليه ، أي يعرف أنه خالق واحد معبود .

٢-العقل: بالنظر والتفكر في مخلوقاته.

٣-النقل: بالتدبر في أدلة الكتاب والسنة والإيمان بها.

أهمية معرفة الرب:

قال ابن القيم رحمه الله: اللذة التامة والفرح والسرور وطيب العيش والنعيم إنما هو في معرفة الله وتوحيده والأنس به والشوق إلى لقائه واجتماع القلب والهـم عليه. اهـ راجع رسالة ابن القيم ألى بعض إخوانه (ص: ٢٩)

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.....

الكلام على الصلاة في مسائل:

*الأولى: تعريف الصلاة:

الصلاة لغة : الدعاء.

قال تعالى { وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } التوبة: ١٠٣
وأصح ما قيل في صلاة الله على رسوله هو ما ذكره البخاري في صحيحة معلقاً عن
أبي العالية قال : صلاة الله على رسوله ثناؤه عليه عند الملائكة . اهـ رواه البخاري
معلقاً بصيغة الجزم في التفسير باب (: إن الله وملائكته يصلون على النبي)

والمشهور أن الصلاة من الملائكة الاستغفار:

كما في الحديث: ((والملائكة يصلون على أحدكم ما دام في مجلسه الذي صلى فيه
يقولون : اللهم اغفر له اللهم ارحمه ") هو جزء من حديث رواه البخاري في الآذان
باب: (من جلس في المسجد ينتظر الصلاة) ،

ومسلم في المساجد باب: (فضل صلاة الجماعة وإنتظار الصلاة).

- ومن الأدميين التضرع والدعاء.

وأما عند إضافتها إلى الله فلا يصح أن يقال إنه يراد بها الدعاء.

الثالثة حكم الصلاة على النبي ﷺ :

نقل القرطبي الإجماع على أن الصلاة عليه فرض في العمر مرة ، وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه . اهـ .

والقول الراجح والله اعلم :

قال ابن عثيمين رحمه الله :

الأصل في الصلاة على النبي ﷺ أنها مستحبة ، وتكون واجبة في مواضع منها :
عند ذكر اسمه فقد روى الترمذي من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " رغم أنف رجلٍ ذكرت عنده فلم يصلِّ عليّ .. " - رواه الترمذي برقم (٣٥٤٥) وحسنه شيخنا الوادعي في (الجامع الصحيح) برقم (١٤٦٧) ، وصححه الألباني في الإرواء (٦) - ومنها عند كثير من العلماء في الصلاة عند التشهد الأخير . اهـ .
راجع (شرح رياض الصالحين)

قوله "وسلم"

السَّلَام اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَعْنَاهُ : الَّذِي سَلِمَ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَنَقْصٍ . اهـ .
راجع كشف المشكل من حديث الصحيحين (٤ / ٢١٦) .
- قال الأصفهاني رحمه الله : السلامة التعري من الآفات الظاهرة والباطنة .

❖ وطلب السلامة للنبي ﷺ تكون في الدنيا والآخرة :

في الدنيا : في حياته بأن يسلمه الله من الأذى ، وبعد موته بأن يحفظ الله جسده في قبره أن يصل إليه أي سوء ، وكذلك أن يحفظ الله سنته وهديه .

وفي الآخرة : بأن يسلمه الله من أهوال ذلك اليوم فإن من دعاء الأنبياء في ذلك اليوم [اللهم سلم سلم]

قوله "نبينا"

النبي لغة : معناه المنبأ من الله المبلغ شرعه ، وهذا التعريف عليه أكثر أهل اللغة. راجع لسان العرب ١ / ١٦٢ .

شرعاً : اختلف في تعريفه إلى أقول أرجحها:

أن النبي: من نبأه الله بأمره ونهيه وخبره وهو ينبيء المؤمنين بما أنبأه الله من الخبر والأمر والنهي ، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليلغيه رسالة من الله إليه فهو رسول .

وهذا هو اختيار شيخ الإسلام بن تيمية راجع النبوات (٢ / ٧١٤) .

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية . دليل على أن النبي مرسل ، ولا يسمى رسولا عند الإطلاق ؛ لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه ؛ بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ولهذا قال النبي ﷺ ((العلماء ورثة الأنبياء)) . ارجع النبوات (٢ / ٧١٤)

يتلخص من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته أن الرسول والنبى كلاهما مرسل ؛ إلا أن النبى لا يسمى رسول عند الإطلاق؛ لأنه رسول إلى من عنده من أهل الإيمان كالعالم بين قومه ، وأما الرسول هو من أرسله الله إلى أهل الكفر ليبلغهم رسالة الله إليهم ، وليس من شرطه أن يأتي بشرع جديد .

(١) الكلام على [الآل] في مسائل:

*الأولى: تعريف [الآل]: آل الشخص هم من ينتمون إليه بصلة وثيقة من قرابة ونحوها .

قال الزبيدي: الآل : أَهْلُ الرَّجُلِ وَعِيَالُهُ وَاتَّبَاعُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ. اهـ راجع تاج العروس مادة: أول..

*الثانية: ما المقصود بآل النبى ﷺ:

آله ﷺ يراد بهم أحياناً المؤمنون من آل بيته ، وهم من حُرِّمَ عليهم الصدقة وهم قرابته وأزواجه ، هذا إذا قُرنت بالأتباع ففيل : آله وأتباعه ، أما إذا ذُكرت الآل وحدها أو مع الصحب ، فالأولى أن تكون بمعنى أتباعه على دينه منذ بعث إلى يوم القيامة ، ويدل على أن الآل بمعنى الأتباع على الدين قوله تعالى :

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ غافر : ٤٦ أي أتباعه علي

دينه. راجع شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٤٧)

وراجع للتوسع في معنى الآل شرح مسلم للنووي (٢/ ١١٥) و(جلاء الأفهام).

فان قيل، فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامثال أوامره، واجتناب نواهيه

*عَبَدَ: في اللغة: ذل وخضع وأطاع.

لذلك سُمِّيَ العبد عبداً ؛ لأنه ذليل خاضع طائع لمولاه.

وَمَعْنَى الْعِبَادَةِ فِي اللُّغَةِ: الطَّاعَةُ مَعَ الْخُضُوعِ.

راجع "تهذيب اللغة" للأزهري، و"مقاييس اللغة" لابن فارس.

والعبادة شرعاً: أجمع تعريف للعبادة قول شيخ الإسلام رحمته:

هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

اهـ راجع "مجموع الفتاوى" (١٤٩/١٠)

وهو أولى من تعريف المؤلف ؛ لأنه جامع مانع، فهو جامع لأنه يشمل جميع أنواع

العبادة ، بخلاف التعريف الثاني، فهو لا يشمل المباح إذا نوي به وجه الله تعالى، وهو

مانع، لأنه لا يدخل فيه ما ليس من أنواع العبادة.

*وهي تتضمن ثلاثة أركان؛ هي:

المحبة، والرجاء، والخوف، ولا بد من اجتماعها، فمن تعلق بواحد منها فقط؛ لم يكن

عابداً لله تمام العبادة؛ فعبادة الله بالحب فقط هي طريقة الصوفية، وعبادته بالرجاء

وحده طريقة المرجئة، وعبادته بالخوف فقط طريقة الخوارج،

والمحبة المنفردة عن الخضوع لا تكون عبادة، فمن أحب شيئاً ولم يخضع له؛ لم يكن عابداً؛ كما يجب الإنسان ولده وصديقه، كما أن الخضوع المنفرد عن المحبة لا يكون عبادة؛ كمن يخضع لسلطان أو ظالم اتقاء لشره، ولهذا لا يكفي أحدهما عن الآخر في عبادة الله - تعالى، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد كل شيء، وأن يكون الله عنده أعظم من كل شيء.

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك (١ / ٥١٣)
الْقَلْبُ فِي سَيْرِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ الطَّائِرِ، فَالْمَحَبَّةُ رَأْسُهُ، وَالْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ
جَنَاحَاهُ، فَمَتَى سَلِمَ الرَّأْسُ وَالْجَنَاحَانِ فَالطَّائِرُ جَيِّدُ الطَّيْرَانِ، وَمَتَى قُطِعَ الرَّأْسُ مَاتَ
الطَّائِرُ، وَمَتَى فُقِدَ الْجَنَاحَانِ فَهُوَ عُزْصَةٌ لِكُلِّ صَائِدٍ وَكَاسِرٍ. اهـ

*والعبادة هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، وهي التي خلق الخلق من أجلها؛

كما قال تعالى:- {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ،

وبها أرسل جميع الرسل؛ كما قال تعالى:- {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان

وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان

***علامة محبة العبد لربه عز وجل:**

علامة ذلك، أن يحب ما يحبه الله تعالى ويبغض ما يسخطه، فيمثل أوامره ويجتنب مناهيه، ويوالي أوليائه ويعادي أعداءه، ولذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فيه. اهـ راجع "أعلام السنة المنشورة" لحافظ حكيم.

***أنواع العبادات: العبادات على أنواع:**

الأول: عبادات اعتقادية:

وهذه أساس العبادات كلها، مثل أن يعتقد العبد أن الله هو الرب الواحد الأحد الذي له الخلق والأمر، وييده النفع والضرر، الذي لا شريك له، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأنه لا معبود بحق غيره.

الثاني: عبادة عملية قلبية:

والعبادات القلبية التي لا يجوز أن يقصد بها إلا الله وحده، وصرفها لغيره شرك كثيرة، كالخوف والرجاء، والرغبة والرغبة، والخشوع والخشية، والحب، والإنابة، والتوكل، والخضوع.

الثالث: عبادة قولية:

كالنطق بكلمة التوحيد؛ إذ لا يكفي اعتقاد معناها، بل لا بد من النطق بها، وكالاستعاذة بالله، والاستعانة والاستغاثة به، والدعاء له، وتسبيحه، وتمجيده، وتلاوة القرآن.

الرابع: عبادة بدنية:

كالصلاة، والصوم، والحج، والذبح، والنذر، وغير ذلك.

الخامس: عبادة مالية:

كالزكاة، وأنواع الصدقات، والكفارات، والأضحية، والنفقة.

*شروط صحة العبادة وقبولها:

لا تقبل العبادة إلا إذا توفر فيها شرطان:

١_ الإخلاص لله عز وجل .

٢_ المتابعة للرسول ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وجماع الدين أصلان: أن لا نعبد إلا الله، ولا نعبد إلا بما شرع، لا نعبد بالبدع، كما قال تعالى: [فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا] (الكهف: ١١٠) .

وذلك تحقيق الشهادتين، شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله؛ ففي الأولى: أن لا نعبد إلا إياه، وفي الثانية: أن محمداً هو رسوله المبلغ عنه؛ فعلينا أن نصدق خبره، ونطيع أمره. اهـ العبودية، ص ١٧٠.

قوله: "طاعته بامثال أوامره، واجتناب نواهيه

تعريف الأمر:

قول يتضمن طلب الفعل على وجه الاستعلاء، مثل: أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة.

تعريف النهي:

قول يتضمن طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية، مثل قوله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الأنعام: من الآية ١٥٠].

قال ابن القيم رحمته في الفوائد (ص: ١٢٨):

إن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه وزيتته وسروره وقره عينه ولذته ونعيمه، وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيء من ذلك، فانه لو ترك جميع المنهيات ولم

يأت بالإيمان والأعمال المأمور بها ولم ينفعه ذلك الترك شيئاً وكان خالداً مخلداً في النار.

وأن الله سبحانه جعل جزاء المأمورات عشرة أمثال فعلها، وجزاء المنهيات مثل واحد وهذا يدل على أن فعل ما أمر به أحب إليه من ترك ما نهى عنه. ولو كان الأمر بالعكس لكانت السيئة بعشرة أمثالها والحسنة بواحدة أو تساويها. اهـ

فإن قيل : فما أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت : من أنواعها، الدعاء،.....

معنى الدعاء :

الدعاء في اللغة : له معانٍ أشهرها: الطلب والسؤال :

قال الحافظ أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله : الدعاء في اللغة والحقيقة هو الطلب. اهـ

وهذا المعنى هو الأكثر استعمالاً من المعاني الأخرى في الكتاب ، والسنة ، واللغة ، ولسان الصحابة ، ومن بعدهم من العلماء .

الدعاء شرعاً :

قد تنوعت عبارات العلماء في المعنى الشرعي للدعاء ، ولعل التعريف الشامل له أن يقال :

الرجبة إلى الله تعالى والتوجه إليه ، في تحقيق المطلوب ، أو دفع المكروه ، والابتغال إليه في ذلك إما بالسؤال ، أو بالخضوع والتذلل ، والرجاء ، والخوف ، والطمع .
فقولنا : " بالسؤال " يراد به دعاء المسألة ، وقولنا : " بالخضوع ... " يراد به دعاء العبادة .

فشمل التعريف نوعي الدعاء فصار جامعاً مانعاً. اهـ
راجع كتاب : (الدعاء ومنزلته في العقيدة) (٤٨ / ١) .

* الفرق بين الدعاء والسؤال :

أن السؤال يكون بطلب المنافع ، والدعاء أعم فهو يشمل طلب المنافع ، ودفع المضار .
قال تعالى ﴿ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ النساء : ٣٢ ، ﴿ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾
ابراهيم : ٣٤ ، فكل سؤال دعاء ، وليس كل دعاء سؤال .
راجع كتاب : (الفروق اللغوية) (ص : ٤٨) ، وكتاب : (الدعاء ومنزلته في العقيدة)
(٩٧ / ١) .

* أقسام الدعاء :

❶ الأول : دعاء عبادة :

هو مطلق التعبد لله عز وجل رجاء ثوابه ، وخوف عقابه ، فكأن المصلي بصلاته سائلاً الله ثوابه والنجاة من عقابه .

قال ابن عثيمين رحمته الله : دعاء العبادة هو أن يتعبد الداعي للمدعو طلباً لثوابه وخوفاً من عقابه وهذا لا يصح لغير الله ، وصرفه لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة . اهـ

❦ الثاني : دعاء المسألة .:

قال ابن عثيمين رحمته الله : دعاء الطلب طلب الحاجات ، وهو عبادة ، إذا كان من العبد لربه ، يتضمن الإفتقار إلى الله تعالى واللجوء إليه ، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة . ويجوز أن يصدر من العبد لمثله من المخلوقين إذا كان المدعو يعقل الدعاء ويقدر على الإجابة . اهـ راجع شرح الأصول الثلاثة للعثيمين .

❦ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله :

يراد بالسائل أي : دعاء المسألة - الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرّة بصيغ السؤال والطلب - ويراد بالعابد - أي : دعاء العبادة - من يطلب ذلك بامتنال الأمر وإن لم يكن هناك صيغة سؤال ولا طلب . اهـ

راجع الفتاوى المصرية لابن تيمية (١/ ١٢٨) .

❦ تنبيه :

علم مما تقدم أن دعاء العبادة خاص بالله عز وجل وصرفه لغير الله شرك أكبر .

أن دعاء المسألة يجوز أن يوجه للمخلوق بشرط :

الأول : أن يكون حياً .

الثاني : أن يكون حاضراً .

الثالث : أن يكون فيما يقدر عليه .

* اختلف أيهما أفضل دعاء العبادة أو دعاء المسألة:

قال ابن القيم رحمته:

الذكر أفضل من الدعاء.

الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤال العبد حاجته. فأين هذا من هذا؟.

وقال رحمته: جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء من حيث النظر إلى كل منهما مجزئاً ، وقراءة القرآن أفضل من الذكر ، والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر إلى الكل مجزئاً ، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل بل يعينه فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل . وهذا كالتسبيح في الركوع والسجود ، فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما بل القراءة فيهما منهي عنها نهي تحريم أو كراهة ، ... ، وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما ، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله لله تعالى ، وأحدث له تضرعاً وخشوعاً وابتهالاً

فهذا يكون ، اشتغاله بالدعاء - والحالة هذه - أنفع ، وإن لا كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً. اهـ

راجع الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٨٩-٩٠) .

[مسائل في الدعاء]

*الأولى: النسبة بين الدعاء والعبادة :

أن الدعاء والعبادة تكون النسبة بينهما تارة الترادف،
وتارة العموم والخصوص المطلق .

❶ فإذا أريد بالدعاء دعاء العبادة تكون النسبة الترادف .

والترادف هو : اتحاد الكلمتين في المفهوم فيكون اللفظان يدلان على معنى واحد ،
وحقيقة الترادف صحة حلول كل منهما محل الآخر.

راجع التعريفات للجرجاني ، والكليات للكفوي .

والعموم والخصوص المطلق هو أن يشترك اللفظان في شيء وينفرد الأعم منهما
بصدقه على أمور لا يشاركه فيها اللفظ الآخر .

❦ وإذا أريد بالدعاء دعاء المسألة فالنسبة العموم بالنسبة للعبادة؛ لأنها تشمل كل عبادة سواء كانت دعاء أو غيرها ، والخصوص بالنسبة للدعاء ؛لأنه خاص بالسؤال والطلب . راجع كتاب (الدعاء ومنزلته في العقيدة) لجيلان العروس (١ / ٧١) .

***الثانية: الدعاء والعبادة إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا :**

فإذا اجتمعت الدعاء والعبادة يفرق بينهما بأن الدعاء خاص بالسؤال والطلب ، والعبادة خاصة بفعل المأمور وترك المحذور ، وإذا افترقا يفسر كلاهما بأنه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ؛لأن الدعاء بقسميه شامل لكل أنواع العبادة ، والعبادة يدخل فيها الدعاء لأنه نوع منها .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

كل عابد سائل وكل سائل عابد ، فأحد الأسمين يتناول الآخر عند تجرده عنه ، ولكن إذا جمع بينهما : فإنه يراد بالسائل الذي يطلب جلب المنفعة ودفع المضرة بصيغ السؤال والطلب ، ويراد بالعابد من يطلب ذلك بامتنال الأمر وإن لم يكن في ذلك صيغ السؤال . اهـ راجع مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٤٠) .

*الثالثة: ما حكم الدعاء ؟

الدعاء يتفاوت حكمه بحسب الحالة والصورة التي هو فيها ، وحالات الدعاء على النحو التالي :

الحالة الأولى : شرك أكبر مخرج من الملة ، وهذه الحالة صور:

❶ الصورة الأولى : سؤال الأموات ودعائهم مطلقاً، والإستشفاع بهم .

❷ الصورة الثانية : أن يسأل غائباً مطلقاً.

❸ الصورة الثالثة : أن يسأل الحي الحاضر أمراً لا يقدر عليه إلا الله .

وكانت هذه الصورة من الشرك الأكبر المخرج من الملة لأمر :

الأول : أن الداعي نادى غير الله ودعاه رغبةً ، ورهبةً وحباً ، فوجه طلبه وقلبه إلى غير الله.

الثاني : أن الداعي يسأل المدعو أمراً لا يقدر عليه إلا الله .

قال ابن عثيمين رحمته الله :

من دعا غير الله عز وجل بشيء لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان المدعو حياً أو ميتاً. اهـ راجع شرح الأصول الثلاثة (ص: ٥٦) .

وهذا يشمل الذي يسأل الميت أو الغائب أمراً من عادة البشر القدرة عليه في حياتهم وحضورهم؛ لأنه اعتقد أن هذا يعلم الغيب ويسمع صوته في أي زمان وفي أي مكان ، واعتقد أن عنده القدرة على التصرف في الكون . اهـ

قال ابن عثيمين رحمته الله:

من دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول يا فلان أطعمني يا فلان اسقني فلا شيء عليه ، ومن دعا ميتاً أو غائباً بمثل هذا فإنه مشرك ؛ لأن الميت أو الغائب لا يمكن أن يقوم بمثل هذا فدعاؤه إياه يدل على أنه يعتقد أن له تصرفاً في الكون فيكون بذلك مشركاً . اهـ راجع (اقتضاء الصراط المستقيم) (ص: ٤٢٢) بشرح ابن عثيمين .

الثالث: أن الداعي اعتقد علم الغيب في المدعو ، وأن له سمعاً وبصراً يحيط بكل من دعاه أو استغاث به ، أو طلب منه الشفاعة ، أو طلب منه الدعاء له .

قال العلامة محمد اسماعيل الدهلوي ، والعلامة بشير السهسواني:

إنهم وإن لم يشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة ، فقد أشركوا عن طريق النداء فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد ، كما يسمعون نداءهم عن قرب . اهـ

راجع " التوحيد " للدهلوي : (ص: ٦٦-٦٧) ، و " صيانة الإنسان " للسهسواني (ص: ٢١٢)

الرابع: أن الداعي قد يطلب الشفاعة الشركية التي كفر الله بها أهل الجاهلية .

الخامس: أن الداعي يعتقد في المدعو أن عنده قوة وتأثير غيبي يستطيع بها إيصال النفع أو دفع الضرر عنه، وهذا التأثير والقوة الغيبية ليست من جنس قوة البشر، ولا من صفاتهم إنما هي صفة خاصة بالله تعالى لا تليق بغيره.
راجع شرح الأصول الثلاثة (ص: ٤٣).

الحالة الثانية: حكم الدعاء فيها يكون شركاً أصغر على قول.

● تحري الدعاء عند القبور والأضرحة، معتقداً أن الدعاء هناك أجوب، وأفضل من غيره، وأن لذلك المكان خصوصية في إجابة الداعي، لكن يشترط فيه أن لا يدعو إلا الله تعالى، أما إذا دعا صاحب القبر واستغاث به فهو من الشرك الأكبر كما تقدم.
● التوسل إلى الله تعالى بحق وحرمة وجاه فلان، قد نص بعض أهل العلم أن هذا من الشرك الأصغر؛ لأنه من وسائل الشرك، ووسائل الشرك عندهم كلها من الشرك الأصغر وهذا يرجع إلى الخلاف في ضابط الشرك الأصغر.

الحالة الثالثة: يكون الدعاء فيها بدعة ومعصية دون الشرك:

● أن يدعو الله تعالى متوسلاً بعمل الغير، وهذا النوع ذهب الشوكاني إلى مشروعيته والصحيح أنه من البدع.

❶ الدعاء الجماعي كما يفعل الصوفية.

❷ التزام أدعية محدثة وتخصيص لها أوقات وأماكن معينة. راجع للتوسع في

(الدعاء ومنزلته في العقيدة) (٢ / ٤٨٥ وما بعدها) .

الحالة الرابعة : أن يدعوا الحي الحاضر فيما يقدر عليه .

وهذه الحالة حكمها الجواز.

قال ابن عثيمين رحمته : الدعاء ما لا يقع عبادة فهذا يجوز أن يوجه إلى المخلوق ، قال

النبي صلوات الله وسلامه عليه : (من دعاكم فأجيبوه) وقال : (إذا دعاك فأجبه) . اهـ

وقال رحمته :

ومن دعا حياً بما يقدر عليه مثل أن يقول : يا فلان أطعمني ، يا فلان اسقني ، فلا

شيء عليه . اهـ

راجع القول (١ / ٢٦٢) ، الأصول الثلاثة (ص : ٥٦) .

الحالة الخامسة : أن يدعوا الله عز وجل متوسلاً إليه بأنواع التوسل المشروع ،

فهذا عبادة من أجل العبادات وأحبها إليه جل وعلا خاصة إذا قارنها الرغبة

والرهبة والحب والتضرع ،

وقد قال النبي صلوات الله وسلامه عليه : ((الدعاء هو العبادة)) .

*آداب الدعاء:

آداب الدعاء تنقسم إلى قسمين : آداب عدمية ، وآداب ثبوتية :

القسم الأول الآداب العدمية :

وقدمناها لأنها أهم من الآداب الثبوتية ، ولأن التخليه قبل التحليه .

فالآداب العدمية خمسة :

❶ عدم الإعتداء في الدعاء ، قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

والإعتداء له صور نلخصها في ما يلي :

١- من أعظم صور الإعتداء في الدعاء الشرك بالله تعالى في الدعاء ، كأن يصرف الدعاء لغير الله تعالى .

٢- ومن صوره : الإبتداع في الدعاء كما قدمنا في الكلام على صور الدعاء المبتدع .

٣- ومن صوره : سؤال الله تعالى ما لا يجوز له سؤاله ، كأن يسأله منازل الأنبياء ، أو يسأله المعونة على الحرام ، وأن يدعوا على المؤمنين باللعنة والحزى والعذاب الأليم ، أو أن يدعوا على خصمه بالعقوبة العظيمة لأتفه الأسباب ، أو أن يدعوا على نفسه أو أهله أو ماله لأمر من الأمور كالمصيبة تنزل به .

❶ عدم التلبس بالحرام :

سواء كان أكلاً ، أو شرباً ، أو لباساً ، أو غذاءً ، ومن أدلته حديث أبي هريرة مرفوعاً وفيه ((.) ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك)) رواه مسلم .

❷ عدم الاستعجال : فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لي)) متفق عليه وفي رواية مسلم : ((لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل ، قيل يا رسول الله : ما الاستعجال ؟ قال : يقول قد دعوت ، وقد دعوت فلم أر يستجب لي فيستحسر عن ذلك ويدع الدعاء)) .

❸ عدم التعليق :

فلا يعلق الدعاء بالمشيئة بل يدعو عازماً جاداً مجتهداً في الطلب والدعاء ، مع حسن الظن بالله جل وعلا . فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : ((إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ، ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له)) متفق عليه

❁ قال ابن رجب رحمته:

من أعظم شرائطه حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى كما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه". اهـ

راجع جامع العلوم والحكم (٤٢)، والحديث ضعيف: رواه الترمذي (٣٤٧٩) والحاكم (١٨١٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة، وذكره الألباني في "الصحيحة" (٥٩٤) وقواه بمجموع طرقه، في سنده صالح المري قال البخاري: متروك، وله طريق أخرى عن ابن عمرو عند أحمد وقواه به الألباني وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف يصلح في الشواهد، فالحديث بهذه الطرق لا يرتقي للصحة قال المناوي: من زعم حسنه فضلاً عن صحته فقد جازف "فيض القدير" حديث رقم (٣١٦).

القسم الثاني: الآداب الثبوتية: وهي كثيرة ونقتصر على أهمها:

❁ الإخلاص:

قال تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]

قال العلامة السعدي - عند الآية - : وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخلص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة،

حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا الله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه. اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمته :

قد دلت الآية أن الإجابة مشترطة بالإخلاص. اهـ راجع الفتح (١١ / ٩٥).

❁ التوبة والرجوع إلى الله تعالى :

فإن المعاصي سبب رئيسي في منع قبول الدعاء؛ كما جاء في أكل وشرب ولبس الحرام أنه مانع لقبول الدعاء.

❁ التضرع والخشوع :

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]

قال الراغب في - المفردات - : التضرع : هو إظهار الضعف والذل. اهـ

قال ابن كثير رحمته في تفسير الآية : قيل معناه تذلاً واستكانة. اهـ

❁ الرغبة والرهبة عند الدعاء :

قال تعالى في حق زكريا وأهله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] .

أي : رغبةً في ثوابنا ، وخوفاً ورهبةً من عقابنا.

قال العلامة السعدي رحمه الله - عند الآية -: أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لا هون. اهـ

❖ الإلحاح والتكرار وعدم الضجر والملل :

والم تأمل في أدعية النبي ﷺ يجد ذلك كثيراً عنه ﷺ فعن عائشة رضي الله عنها ، قالت: سَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودِيٍّ مِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ، يُقَالُ لَهُ: لَيْدُ بْنُ الْأَعْصَمِ: قَالَتْ حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ، وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ، أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ، دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ دَعَا، ثُمَّ دَعَا... رواه مسلم (٢١٨٩).

❖ التوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، إما في أول الدعاء وإما في آخره .

وقد يجتمع ذلك مثل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

فابتدأ بالدعاء باسم من أسماء الله تعالى وختم أيضاً باسم من أسماء الله تعالى .

وقد قال تعالى آمراً عباده: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

❖ اختيار جوامع الكلم وأحسن الكلام وأحسن الألفاظ :

قالت عائشة رضي الله عنها: ((كان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يستحب الجوامع من الدعاء، ويدع ما سوى ذلك)).

صححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٨٢٥)
وشيخنا الوادعي في الصحيح المسند رقم (١٥٤٧).

استقبال القبلة :

لأن القبلة هي الجهة الفاضلة التي ينبغي أن يتجه إليها فهي قبلة الصلاة وقبلة الدعاء ، وقد ورد في ذلك عدة أحاديث منها : حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قصة إلقاء قریش الأذى على ظهر الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفيه : ((استقبل النبي صلوات الله وسلامه عليه الكعبة فدعا على نفر من قریش)) . رواه البخاري برقم (٣٩٦٠) ومسلم برقم (١٧٩٤) .

الطهارة :

وقد جاء من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في قصة استشهاد أبي عامر الأشعري وطلبه من النبي صلوات الله وسلامه عليه الاستغفار، فلما وصل إلى النبي صلوات الله وسلامه عليه وفاته وطلبه منه الإِسْتِغْفَار، دعا بماء فتوضأ ثم دعا له . رواه البخاري برقم (٤٢٢٣) .

رفع اليدين عند الدعاء :

والأحاديث في ذلك متواترة مشهورة .

قال شيخ الإسلام رحمته :

وأما رفع النبي صلوات الله عليه وآله بالدعاء ، فهو في الحديث أكثر من أن يبلغه الإحصاء. اهـ
راجع بيان تلبيس الجهمية (٢ / ٤٤٤) .

● تحري الأوقات الفاضلة : ومن تلك الأوقات :

- وقت السحر :

فقد دلت الأدلة أنه من مواطن الإجابة للدعاء كما في حديث أبي هريرة أن رسول الله صلوات الله عليه وآله قال : ((ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجب له ، من يسألني فأعطيه ، ومن يستغفر لي فأغفر له))
رواه البخاري برقم (١١٤٥) ومسلم برقم (٧٥٨) وهو حديث متواتر كما قال الذهبي .راجع العلو (ص:٧٣).

- يوم الجمعة :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال : ((فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه)) رواه البخاري برقم (٩٣٥) ومسلم برقم (٨٥٢)،

وقد اختلف أهل العلم في تحديد هذه الساعة إلى أقوال كثيرة كما ذكر ابن القيم في "زاد المعاد" (١/ ٣٧٥) وأن أقواها قولين :

الأول :

أنها ما بين جلوس الإمام على المنبر إلى الفراغ من الصلاة .
 لحديث أبي موسى عند مسلم (٨٥٣) وقد أعله الدارقطني بالإنقطاع كما في "التتبع".
 ورجح هذا القول ابن القيم في "الزاد"، وفتاوى ابن عثيمين (١٦/ ١٧)

الثاني : ما بعد صلاة العصر يوم الجمعة إلى الغروب .
 فهاتان الساعتان قد دلت الأدلة على أنه تجاب فيهما الدعوة.
 وقد جاء هذا من حديث جابر عد أبي داود والنسائي، وعبدالله بن سلام عند ابن ماجه وكلاهما قد أعل كما في "فتح الباري" لابن رجب حديث رقم (٩٣٥).
 وهذا القول هو الراجح :

فقد أخرج ابن المنذر في "الأوسط" (١٣/٤) بإسناد صحيح عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة، فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة.

قال الشوكاني رحمه الله:

الْقَوْلُ بِأَنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الْيَوْمِ هُوَ أَرْجَحُ الْأَقْوَالِ، وَإِلَيْهِ ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالْأئِمَّةِ. اهـ "نيل الأوطار" (٣/ ٢٩٣)،
ورجح هذا القول الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ الفتاوى (٣/ ٣٧).

- حال السجود:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ» رواه مسلم برقم (٤٨٢).

● خفض الصوت بالدعاء :

قال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]
عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ

وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ». رواه البخاري برقم (٢٩٩٢)، ومسلم برقم (٢٧٠٤).

*فوائد إخفاء الدعاء:

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله عشرة فوائد في إخفاء الدعاء نذكرها باختصار لنفاستها :

الأولى : أنه أعظم إيماناً ؛ لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع الدعاء الخفي .

الثانية : أنه أعظم في الأدب والتعظيم ؛ لأن الملوك لا ترفع الأصوات عندهم والله المثل الأعلى

الثالثة : أنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ، فإن الخاشع يسأله مسألة مسكين قد انكسر قلبه وذلت جوارحه ، وخشع صوته ، حتى أنه ليكاد تبلغ ذلته وضراعتة ، إلى أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً ولسانه لشدة ذلته ساكناً .

الرابعة : أنه أبلغ في الإخلاص .

الخامسة : أنه أبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه .

السادسة : أنه دال على قرب صاحبه إلى من يدعو .

السابعة : أنه ادعى إلى دوام الطلب والسؤال فإن اللسان لا يمل ، والجوارح لا تتعب بخلاف ما لو رفع فإنه يضعف .

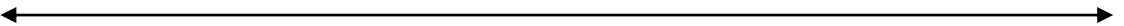
الثامنة: أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات، فإنه إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد حتى يشوش عليه .

التاسعة : أنه لكل نعمة حاسد ولا أعظم من هذه النعمة والأسلم له إخفاء نعمته من الحاسد .

العاشر : أن الدعاء هو ذكر لله عز وجل وقد أمر الله سبحانه بإخفاء الذكر فقال : ((وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً)) الأعراف : ٢٠٥ .

راجع مجموع الفتاوى (١٥ / ١٥ - ١٦) ، و(بدائع الفوائد) لابن القيم (٦ / ٣) .

قوله: والاستعانة.....



وأما الاستعانة بالنون :

فهو طلب العون. هذا تعريف شيخ الإسلام للاستعانة .

راجع مجموع الفتاوى (١/ ١٠٣)،

* والعون هو : المظاهرة والمعاونة ، والتعاون التظاهر.

والاستعانة شرعاً :

طلب ما يتمكن به العبد من الفعل ويوجب اليسر عليه .

- وقيل: هي طلب العون من الله تعالى على سبيل التعبد لله . اهـ

راجع مفردات القرآن للأصفهاني.

*الفرق بين الاستغاثة والاستعانة :

أن الاستعانة تكون قبل وقوع الضرر ، والاستغاثة تكون بعد وقوع الضرر ، فتكون

الاستعانة لدفع الضرر والاستغاثة لرفع الضرر .

راجع مفردات القرآن للأصفهاني .

(مسائل في الاستعانة)

*الأولى: أقسام الاستعانة :

❶ القسم الأول: الاستعانة الشرعية وهي على ثلاثة أقسام :

١- الاستعانة الخاصة بالله عز وجل: وهي الاستعانة المطلقة وهذه لا تكون إلا لله عز وجل ،

ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول {إِيَّاكَ} وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركاً مخرجاً عن الملة. وهي تكون عبادة جليلة إذا استصحبت معها كمال الذل والخضوع لله ، والثقة الكاملة بالله ، والاعتماد المطلق عليه جل وعلا، ومن صرف هذا النوع لغير الله فهو مشرك وكافر كفراً أكبر؛ لأنه صرف شيئاً من خصائص الله جل وعلا لغيره .

- قال ابن القيم رحمته :

الاستعانة الخاصة بالله :هي المتضمنة لأصلين الثقة بالله، والاعتماد عليه، فإن العبد قد يثق بالواحد من الناس ولا يعتمد عليه في أموره مع ثقته به لاستغنائه عنه ، وقد يعتمد عليه مع عدم ثقته به لحاجته إليه ولعدم من يقوم مقامه . اهـ مدارج السالكين (١ / ٧٥) .

- وقال ابن عثيمين عليه رحمة الله : الاستعانة الخاصة بالله تتضمن ثلاثة أمور :

أ- كمال الذل والخضوع لله .

ب- كمال الاعتماد المطلق على الله .

ج- الثقة الكاملة بالله جل وعلا . اهـ

راجع شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين عند الكلام على الاستعانة ، وحاشية

عبدالرحمن بن قاسم على الأصول الثلاثة في نفس الموضوع .

٢ - الاستعانة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه : تقدم نقل شيخ الإسلام بن تيمية ،

الاتفاق على جوازها .

- تنبيه :

من أهل العلم من قال: إِنَّ المخلوق وإن استعين به لا يعتمد عليه ولو فيما أقدره الله

عليه ، وإن الاعتماد عليه في ذلك يعتبر شركاً أصغر :

- قال العلامة عبد الرحمن بن قاسم رحمته :

لا يعتمد العبد إلا على الله عز وجل فهو القادر على كل شئ بيده الملك وهو على كل

شئ قدير ، وإذا كان كذلك فالمخلوق وإن كان له نوع قدرة ، فلا يعتمد عليه ولو فيما

أقدره الله عليه ، بل يعتمد العبد على الله عز وجل وحده . اهـ

راجع حاشيته على (الأصول الثلاثة) (ص: ٤٩) .

- وقال ابن عثيمين رحمه الله:

إن اعتمد على الأحياء الحاضرين والسلطين ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع آذى ونحوه فهذا شرك أصغر. اهـ راجع (القول المفيد) لابن عثيمين باب (وعلى الله فتوكلوا أن كنتم مؤمنين) .

- قال ابن عثيمين رحمه الله:

الاستعانة بالمخلوق في أمر قادر عليه فهذه على حسب المستعان عليه:

- إن كانت على بر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ .

١- إن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ .

٢- إن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين ولكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ .

٣- الاستعانة بالأحوال والأعمال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى كما في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ .

راجع شرح الثلاثة الأصول للعثيمين ص: ٦٢ .

❶ القسم الثاني الاستعانة الشريكية وهي على أقسام :

١ - الاستعانة بالأموات مطلقاً : وهي شرك أكبر ؛ لأن فاعلها يعتقد أن للميت قوة وتأثير غيبي ، فهو يعتقد أنه قادر على كل شيء يستعين به فيه ، وأن له تصرف في الكون ، وأنزله منزلة من يسمع دعاء من دعاه ، ويحيب السائل الذي سألته ، ويدبر أمر من استعان به وهذا كله لا يكون إلا لله .

٢ - الاستعانة بالغائبين مطلقاً : وهي شرك أكبر ؛ لأنه اعتقد في المستعان به أن له قوة وتأثير غيبي ... الخ .

٣ - الاستعانة بالجماادات - سواء كان الجماد شجراً أو حجراً أو كوكباً - :

راجع (الدر النضيد شرح كتاب التوحيد) (ص : ١١١) . ،

راجع مجموع الفتاوى (١ / ١٥٨) .

٤ - الاستعانة بالحي الحاضر فيما لا يقدر عليه إلا الله كما تقدم .

*الثانية: أقسام الناس في الاستعانة :

❶ (١) من يعبد الله ويستعين به : فعبادة الله غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ، ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الله تبارك تعالى الإعانة على مرضاته ، وهو الذي علمه النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه فقال يا معاذ : ((إني أحبك في الله ، فلا تدع أن تقول دبر كل صلاة اللهم أعني على ذكرك وشكرك ...)) .

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته :

تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال العون على مرضاته ثم رأيت في الفاتحة في :

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . اهـ

نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ١٠٠)، وهو بلفظ مقارب في مجموع الفتاوى (١/ ١٧٥).

❶ (٢) المعرضون عن عبادة الله والاستعانة به :

فلا عبادة ولا استعانة ، بل إن سأله أحدهم واستعان به ، فعلى حظوظه وشهواته ، وهؤلاء شر الأقسام .

❷ (٣) من له نوع عبادة بلا استعانة : وهؤلاء أنواع :

أ - من أهل الدين من قصدوا طاعة الله ورسوله وعبادته ، وتخضع قلوبهم لمن يستشعرون نصرهم ، ورزقهم ، وهدايتهم من جهته كالأغنياء والملوك والمشايخ .

ب - القائلون أن الله قد فعل جميع مقدوره مع العبد فقد أعانه بخلق الآلات وسلامتها ، وتعريف الطريق وإرسال الرسل ، وتمكينه من الفعل ، فلم يبق بعد هذا إعانة مقدورة يسأله أياها ، فهم موكلون إلى أنفسهم فلا المهتدي يهتدي بتوفيق الله ، ولا الكافر ضل بخذلان الله ، فهؤلاء معهم نصيب من العبادة لا استعانة معه .

ج - كثير من المتفقهه والمتعبدة ينظرون إلى جانب الأمر والنهي والعبادة ، ولا ينظرون إلى جانب التوكل والاستعانة ، لذلك يغلب عليهم الضعف ، والعجز والخذلان ؛ لأن الاستعانة بالله والتوكل عليه هي التي تقوي العبد وتيسر له الأمور .
(٤) من له نوع استعانة مع عبادته غير الله تعالى :

مثل كثير من ذوي الأحوال ، وذوي القدرة وذوي السلطان الباطن والظاهر ، وأهل الكشف والتأثير ، الذين يستعينونه ، ويعتمدون عليه ويلجأون إليه ، ولكن مقصودهم غير ما أمر الله به ورسوله ، وغير اتباع دينه وشريعته التي بعث الله بها رسوله .

راجع مجموع الفتاوى (٣٦ / ١) (١٠ / ١٢٤) ومدارج السالكين (١ / ٨٢)

***الثالثة: أهمية الاستعانة بالله :**

قال شيخ الإسلام رحمته :

وتوحيد الله ، وإخلاص الدين له في عبادته ، واستعانته ، في القرآن كثير جداً ، بل هو قلب الإيمان ، وأول الإسلام وآخره . اهد راجع مجموع الفتاوى (١ / ٧٠) .
والاستعانة نصف الدين ؛ لأن الله تعالى قال : ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ .

***الرابعة: العبادة محفوفة بإعانتين :**

١- إعانة قبلها : على التزامها والقيام بها .

٢- إعانة بعدها : على عبودية أخرى ، وهكذا حتى يقضي العبد نحبه .
راجع مدارج السالكين (١ / ٩٨).

قوله : الاستغاثة

فأما الاستغاثة بالمعجزة والمثلثة ، فهي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة .
(طلب الغوث) هذا هو تعريف شيخ الإسلام كما سيأتي .
وهذا معناها في اللغة . وعلى هذا فهي نوع من أنواع الدعاء ؛ لأن فيها طلب .
قال شيخ الإسلام رحمته :

والداعي يطلب أحد شيئين ، إما حصول منفعة ، أو دفع مضرة ، فلا استعاذة ،
والاستجارة ، والاستغاثة كلها من نوع الدعاء والطلب . اهـ
راجع الاستغاثة (٢ / ٩٥٢) .

قوله : (وهو إزالة الشدة)

هذا هو ضابط الاستغاثة أنها خاصة بمن نزل به شدة ومكروه .

***الفرق بين الاستغاثة والدعاء:**

أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب ، أما الدعاء فيكون من المكروب وغيره ، فهو
أعم منها وبينهما عموم وخصوص مطلق ، يجتمعان في الدعاء بعد نزول الكرب
وينفرد الدعاء عند طلب الخير ، أو دفع شر لم يقع الأعم . وعلى هذا فكل استغاثة
دعاء ولا عكس ..

راجع فتح المجيد (ص: ١٦٦).

(مسائل في الاستغاثه)

*الأولى : الاستغاثه تنقسم إلى قسمين مثبتة ومنفية:

● القسم الأول المثبتة : وهي على قسمين :

أ - استغاثه بالله عز وجل قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ .

[الأنفال: ٩]

قال ابن عثيمين رحمته الله :

وهي من أفضل الأعمال وأكملها ، وهي دأب الرسل وأتباعهم كما في الآية السابقة. اهـ راجع شرح الثلاثة الأصول (ص: ٤٣).

ب - استغاثه بالمخلوق وضابطها أن تطلب من حي حاضر في أمر من عادة البشر القدرة عليه .

وهي على أقسام :-

استغاثه بالأنبياء - استغاثه بعامة المؤمنين - استغاثه بالكفار عند الحاجة إليهم ، لقتال الكفار .

وللشيخ ابن باز بحث طيب حول جواز هذه المسألة ، رجح فيه جواز ذلك عند الحاجة والضرورة ونقل كلام أهل العلم راجع فتاواه (٣٦ / ٦) .

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمته: استغاثة المخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه من نصره على عدوه .. هذا جائز لا نزاع فيه. اهـ منهاج التأسيس (ص: ٣٤٦).

قال ابن عثيمين رحمته:

لكن يجب عليك تحقيقاً لتوحيدك أن تعتقد أنه مجرد سبب وأنه لا تأثير له بذاته في إزالة الشدة ، لأنك ربما تعتمد عليه وتنسى خالق السبب ، وهذا قاذح في كمال التوحيد . اهـ راجع القول المفيد (١ / ٢٦٠) .

❶ القسم الثاني: منفية :

وهي التي تطلب من الأموات ، أو الغائبين ، أو من الأحياء في أمر لا يقدر عليه إلا الله كغفران الذنوب وهداية القلوب .

وهي على أقسام :

أ- الاستغاثة بالأموات مطلقاً . أي سواء أُسْتُغِيثَ به في أمر من عادة البشر القدرة عليه أم لا ؛ لأن من استغاث بالأموات والغائبين يلزمه أن يعتقد أن عندهم قوة وتأثير غيبي بحيث أنهم يعلمون من استغاثهم ويسمعون دعاءه من كل مكان ، وفي كل زمان ، ولا ريب أن هذا فيه إثبات علم الغيب لهم الذي هو مختص بالله فيكون شركاً أكبر . راجع صيانة الإنسان (١ / ٢٣٠)

وقال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ : إن الأسباب العادية التي يستطيعها الإنسان في حياته تنقطع بموته كما دل عليه الحديث (إذا مات ابن آدم انقطع عمله ..) وبذلك تصير ملحقة في الحكم والشرع بما لا يستطيعه في حياته ، كهداية القلوب ، وشفاء المريض .. اهـ مصباح الظلام (ص : ٤٠١)

قال ابن عثيمين رحمته :

لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون ، فيجعل لهم حظاً في الربوبية قال تعالى ﴿ أمن يحيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾ النمل : ٦٢ .

راجع شرح الثلاثة الأصول (ص : ٤٣) .

ب: الاستغاثة بالغائبين مطلقاً.

قال الشيخ ابن باز: دعاء الحي غير الحاضر شرك أكبر. اهـ شرح ابن باز على كتاب التوحيد (ص : ٢١) .

ج: الاستغاثة بالحي الحاضر في أمر لا يقدر عليه إلا الله .

د: الاستغاثة بالجهادات .

*الثانية: حكم الاستغاثة المنفية : قال شيخ الإسلام رحمته : من أعظم الشرك أن يستغيث الرجل بميت أو غائب . اهـ راجع مجموع الفتاوى (٢٧ / ٨١) .

وقال ﷺ: ولا يجوز أن يقول لملك ولا نبي ولا شيخ ، سواء كان حياً أو ميتاً ، اغفر ذنبي ، ولا انصرني على عدوي ، ولا اشف مريض ، ولا عافني ، أو عافي أهلي ودابتي وما أشبه ذلك ومن سأل ذلك مخلوقاً كائناً من كان فهو مشرك بربه ، من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والأنبياء ، والتمثيل . اهـ .
راجع مجموع الفتاوى (٢٧ / ٦٨) .

✽ ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية :

الإجماع على كفر من وقع في ذلك فقال : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ، ويدعوهم ، ويسألهم كفر إجماعاً . اهـ راجع مجموع الفتاوى (١ / ١٢٤) .

قال الشيخ سليمان آل الشيخ :

وهو إجماع صحيح معلوم بالضرورة من الدين . اهـ

تيسير العزيز الحميد ص : (١٨٨) .

قال ابن القيم رحمه الله :

أصل شرك العالم طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم . اهـ

راجع مدارج السالكين (١ / ٣٨٤) وقد نقله المؤلف في آخر الكتاب .

* الثالثة ما حكم من قال: إن الأولياء يُخلصون من استغاث بهم من عذاب الله ؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله : من قال : إن شيخاً من المشائخ يخلص مريديه يوم القيامة من

العذاب فقد ادعى أن شيخه أفضل من محمد ﷺ ، ومن قال بهذا فإنه يستتاب فإن

تاب وإلا قتل فقد جاء في الحديث: ((يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئاً ..)) - رواه البخاري برقم (٢٧٥٣)، ومسلم برقم (٢٠٦) عن أبي هريرة - وقد علم أنه ليس للأنبياء وغيرهم إلا الشفاعة . اهـ
مجموع الفتاوى (١٠٥ / ٢) .

*الرابعة : من استغاث بالأموات جمع بين إسائتين:

قال ابن القيم رحمه الله : من دعا الأموات ، واستغاث بهم جمع بين إسائتين :
الإساءة الأولى : إسائتهم إلى أنفسهم ؛ لأن المقصود من زيارة القبور تذكّر الآخرة ، وهؤلاء قلبوا الأمر وعكسوا الدين ، وجعلوا المقصود من الزيارة الشرك بالميت .
الإساءة الثانية : إسائتهم إلى الميت ؛ لأن من الأسباب التي شُرعت من أجلها الزيارة الإحسان إلى المزور والدعاء له والترحم عليه ، والاستغفار له ، وهؤلاء حرموه بركة ما شرعه الله له من الدعاء له ، والترحم عليه ، والاستغفار له . اهـ
راجع إغاثة اللهفان (١ / ٢٢٥) .

*الخامسة : من أوائل مؤلفات أهل البدع في الاستغاثة المحرمة وحكمهم بجوازها؟
من أوائل ما أُلّف في الاستغاثة الشركية :

- ١- " مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام " تأليف: أبو عبدالله محمد بن موسى التلمساني القاضي المصري . توفي عام (٦٨٣) هـ وقد ذكر عنه أنه حج إلى قبر النبي ﷺ ولم يذهب إلى البيت الحرام ، وهو من أئمة الصوفية.
- ٢ - (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) للسبكي وقد استفاد من صاحب المصباح ألف كتابه هذا رداً على شيخ الإسلام ابن تيمية فذهب فيه إلى تكفير من أنكر جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته ،
- ثم تتابع أهل البدع والقبور في إصدار مثل هذه الكتب حتى وصلت إلى مئات الكتب التي تُدافع عن الشرك والخرافة تارة ، وتدعوا إليه تارة .

قوله : وذبح القرбан.....

تعريف الذبح:

هو إزهاق الروح بإزاحة الدم لحيوان مأكول شرعاً، على وجه مخصوص.

أنواع الذبح :

الذبح على أقسام :

١- شرك أكبر وله صور منها :

أ- أن يذبح للأصنام والقبور وغير ذلك تقرباً لها، أو توسلاً بها .

ب - أن يذبح ويذكر عليه اسم غير الله .

ج - ما ذبح تحية وتعظيم للمخلوق عند قدومه .

د - ما يذبح عند دخول البيت خوفاً من الجن .

هـ - ما يذبح عند انحباس المطر في مكان معين لأجل نزول المطر .

قال شيخ الإسلام رحمته :

المسلم لو ذبح لغير الله أو ذبح باسم غير الله لم يبيح وإن كان يكفر بذلك. اهـ

وقال رحمته :

لو ذبح لغير الله متقرباً به إليه لحرم ، وإن قال فيه بسم الله ، كما يفعله طائفة من منافقي

هذه الأمة الذين يتقربون إلى الأولياء والكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك . اهـ

راجع اقتضاء الصراط (١ / ٢٥٦ - ٢٥٩) .

قال شيخ الإسلام رحمته :

إِذَا ذَبَحَ شَاةً وَقَالَ : بِاسْمِ سَيِّدِي ، هَذَا شِرْكٌ وَضَلَالٌ ، يُسْتَتَابُ صَاحِبُهُ فَإِنْ تَابَ

وَلَا قُتِلَ . اهـ راجع مجموع الفتاوى - (٣ / ٣٩٥) .

٢ - بدعة ووسيلة من وسائل الشرك :

مثل الذبح عند القبور لله عز وجل ، فإن ذلك بدعة ووسيلة من وسائل الشرك بالله ، وقد يطلق عليه شرك أصغر؛ لأنه وسيلة إلى الشرك الأكبر عند بعض أهل العلم ، الذين يطلقون على كل وسيلة للشرك الأكبر أنها من الشرك الأصغر .

قالت اللجنة الدائمة: الذبح لله عند القبور تبركاً بأهلها وتحري الدعاء عندها وإطالة المكث عندها رجاء بركة أهلها والتوسل بجاههم أو حقهم ونحو ذلك - بدع محدثة، بل ووسائل من وسائل الشرك الأكبر، فيحرم فعلها. اهـ

فتاوى اللجنة الدائمة - ١ (١ / ٤٣٥)

٣- معصية : كالذبح للإحتفال بالمولد النبوي .

٤- ذبح واجب : كهدي التمتع ، والنذر .

٥- ذبح مستحب : كالذبح للتصدق باللحم على الفقراء والمساكين .

٦- ذبح مباح : كالذبح للحم أو إكرام الضيف ؛ فإن نوى فيه الصدقة وامتنال الشرع كان متسحّباً.

*الثانية: حكم من نسي التسمية عند الذبح :

الحكم أنه تحرم عليه الذبيحة ولا يَأْثَمُ على الصحيح ، وأما إن ترك التسمية عمداً فإنه تحرم عليه الذبيحة ويَأْثَمُ ، وهذا هو قول جماعة من أهل العلم كما في تفسير ابن كثير، وهو رواية عن أحمد ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم . راجع الخلاف في تفسير ابن كثير "سورة الأنعام" آية رقم : ١٢١ ،

وراجع مجموع الفتاوى (٢٣٩ / ٣٥)، والشرح الممتع (١٥ / ٨١)، والأطعمة للفوزان:
(ص: ١٢٧) وما بعدها.

*الثالثة: الفرق بين الذبح الذي هو شرك أكبر ؛ وهو الذبح تحيةً وتعظيماً للقادم ،
وبين الذبح لإكرام الضيف :

إن كان المقصود بالذبح مجرد إعظامه وتكريمه ، سواءً قُدِّمَتِ الذبيحة بعد ذلك
طعاماً لأكلها أم لا فذلك غير جائز، بل هو شرك يوجب اللعنة ، لدخوله في عموم
الذبح لغير الله ، أما الذبح للضيف وقصد بها الإكرام لا تعظيمه وعبادته فذلك جائز
أهـ راجع فتاوى اللجنة (١ / ٢٢٣ - ٢٢٥).

*الثالثة: شرعية الذبح يدور على أمور :
الأول : التسمية:

فما ذكر عليه اسم الله فإنه ذبح شرعي صحيح لقوله تعالى: { فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ } [الأنعام: ١١٨] [الأنعام: ١١٨] وأن ما لم يذكر اسم
الله عليه فهو ذبح غير شرعي ، أو ذكر عليه اسم غيره فهذا مما أهل لغير الله به كما في
قوله تعالى: { وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ } .

والتسمية على الذبيحة استعانة، فإذا سمي الله: فإنه استعان في هذا الذبح بالله - جل
وعلا -؛ لأن الباء في قولك: باسم الله، يعني أذبح متبركاً، ومستعيناً بالله - جل وعلا

الثاني: القصد:

أي أن يقصد بالذبح التقرب لله أو أمراً جائزاً شرعاً .

الثالث: الذكاة الشرعية:

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ ، قَالَ: النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم: " مَا أَثْهَرَ الدَّمَ وَذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ فَكُلْ " متفق عليه.

الرابع: أن يكون الحيوان مما أحله الله بالذبح:

كقوله تعالى: {أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المائدة: ١].

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "نهى عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطير". رواه مسلم (٥١٠٥).

قوله : والنذر

تعريف النذر لغة :

قال في "لسان العرب": معناه الإيجاب والإلزام .

والنذر اصطلاحاً: قال ابن الأثير في "النهاية" :

هو أن توجب على نفسك شيئاً تبرعاً ، من عبادة ، أو صدقة ، وغير ذلك. اهـ

فالنذر هو أن يلزم العبد نفسه بما لم يلزمه الله به من صيام أو صدقة أو نحو ذلك .

*الأدلة على أن النذر عبادة لله عز وجل فلا يجوز صرفه لغير الله :

☞ قوله تعالى : ((يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا)) [الإنسان : ٧] .

قال ابن كثير رحمته - عند الآية - : أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر . اهـ

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمته :

ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر ، والله تعالى لا يمدح إلى على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم ، لا يمدح على فعل المباح المجرد ، وذلك هو العبادة فمن فعل ذلك لغير الله متقرباً إليه فقد أشرك معه غيره في العبادة . اهـ
راجع تيسير العزيز الحميد (ص : ١٦٥) .

☞ قوله تعالى : ((وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِّنْ نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ)) [البقرة : ٢٧٠] .

قال ابن كثير رحمته :

يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك إبتغاء وجهه ورجاء مواعوده . اهـ

وقال الشيخ سليمان رحمته :

ووجه الدلالة من الآية أن الله تعالى أخبر بأن ما أنفقناه من نفقة أو نذرناه من نذر متقربين بذلك إليه أنه يعلمه ، ويجازينا عليه فدل ذلك أنه عباده ، وبالضرورة يدري كل مسلم أن من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد أشرك. اهـ
راجع تيسير العزيز الحميد (ص: ١٦٥) .

*أنواع النذر وحكم كل نوع :

● نذر طاعة: وهو على قسمين :

القسم الأول: نذر مطلق: وهو الذي يكون لغير شرط ، كأن يقول لله علي صوم كذا وكذا . حكمه :

وهذا يجب الوفاء به ، إذا كان مُستطاعاً وإلا كفر كفارة يمين .

القسم الثاني: نذر مقيد:

وهو الذي يكون بمقابل وشرط : كأن يلزم نفسه بطاعة مقابل نعمة يرجوا الحصول عليها ، أو نعمة يرجوا استدفاعها كقوله : إن شفاني الله فله علي صوم شهر ، أو إن ربحت في تجارتي علي التصديق بكذا .

حكمه: وهذا النوع لا يجب الوفاء به إلا إذا تحقق الأمر الذي نذر من أجله من حصول المرغوب، أو دفع المكروه أو رفعه، وهذا قول جمهور العلماء.

❖ حكم نذر الطاعة:

وهذا النوع من النذر وهو نذر الطاعة قد اختلف أهل العلم في حكمه:

- فذهب بعض أهل العلم إلى تحريمه: لما روى ابن عمر أن النبي ﷺ: نَهَى عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ». رواه البخاري برقم (٦٦٩٣)، ومسلم برقم (١٦٣٩).

نهي عن النذر لأموال منها:

قال شيخ الإسلام رحمه الله: نهى عن النذر؛ لأن فيه التزام شيء لم يكن لازماً، وقد لا يَفْعَلُهُ فَيَبْقَى متلوماً، اهـ.

وقال: إنما نُهي عن النذر لاعتقاد أنه يَقْضِي حاجته، لا لكون المنذور مكروهاً. وقال رحمه الله: "إِنَّهُ يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ"، والاستخراج من البخيل مما يُحِبُّهُ الله ورسوله، فلم يَحْصُلْ بانعقاد النذر إلا ما يُحِبُّهُ الله ورسوله، لكن يُخَافُ عليه أن لا يُوفَى. اهـ.

ولما فيه من المعاوضة مع الله جل وعلا فإن أعطاه الله تقرب إليه وإن لم يعطه لم يتقرب إليه. راجع جامع المسائل (٣/ ١٢٩) - (١/ ٣٢٩)، والقول المفيد (١/ ٢٤٨).

حكمه: وجمهور أهل العلم على أنه مكروه كراهة تنزيه.

مسألة : كيف يكون النذر عبادة ، مع كونه مكروهاً؟

أ - أما النذر المطلق الذي لا يراد به إلا التقرب إلى الله والتزام العمل الصالح ، بما لا مشقة فيه على العبد تورثه الندم على عقد النذر فهذا النوع من الخطأ أن يقال الوفاء به عبادة فقط ، بل عقد النذر والوفاء به كله عبادة .

ب - وأما النذر بمقابل فهو الذي ذمه النبي ﷺ فهو مكروه من جهة أنه بمقابل ، أو إن شق على نفسه ، وعبادة من جهة كونه تعظيم لله ، مثل الحلف ، فإنه فيه تعظيم ، وأن الوفاء به مما يحبه .

- ومن أهل العلم من قال أن النذر المكروه هو ما كان بمقابل ، أما المطلق فهو عبادة مستحبة . وهذا هو الصحيح ما لم يشق على نفسه بما لا يستطيعه والله أعلم .

قال ابن حجر رحمه الله : نقل بعضهم الاتفاق على صحته واستحبابه .

اهـ راجع الفتح تحت حديث رقم (٦٦٩٠ - ٦٣١٢) ، وفتح المجيد (ص: ١٤٣) ، وتوضيح الأحكام للبسام حديث رقم (١١٩٤) ، والتمهيد شرح كتاب التوحيد (١/ ٢١٢) .

والصارف له من التحريم مع أن النهي يقتضي التحريم مدح الموفين به ؛ ولأن النبي ﷺ أقر الصحابة على نذورهم وأمرهم بالوفاء؛ ولأنه وسيلة إلى التزام قرينة فيلزم أن يكون قرينة ، وهذا هو القول الراجح والله أعلم .

◀ تنبيه :

لا يجوز أن يعتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت شيئاً سبباً بلا علم أو يخالف الشرع، كان مبطلاً، مثل من يظن أن النذر سبب في دفع البلاء وحصول النعماء. وقد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم: " أنه نهى عن النذر وقال: " إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل ". راجع الواسطة بين الحق والخلق (ص: ٤٤).

⦿ نذر المعصية : وحكمه أنه لا يجوز الوفاء به:

قال ابن قدامة رحمه الله: نذر المعصية لا يحل الوفاء به بالإجماع . اهـ
واختلف أهل العلم في وجوب الكفارة عليه .

- فقال بعضهم لا تجب؛ لأنه نذر غير منعقد فلا يوجب شيئاً ، واستدلوا بحديث : ((...ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه)) رواه البخاري عن عائشة برقم (٦٦٩٦) . فلم يأمره بالكفارة ؛ ولأن النذر لا يكون إلا بطاعة. واستدلوا بحديث : ((لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك العبد)) رواه مسلم برقم (١٦٤١) .

قال الإمام مالك رحمته :

لم أسمع أن رسول الله ﷺ أمر ناذر المعصية ، أو تارك الطاعة بكفارة . اهـ

وذكر الوزير رحمته :

أنه مذهب الأئمة الثلاثة ، واختاره الشيخ تقي الدين رحمته .

قال النووي رحمته :

" لا وفاء لنذر في معصية " في هذا دليل على أن من نذر معصية كشرب الخمر ونحو ذلك ، فنذره باطل لا ينعقد ، ولا تلزمه كفارة اليمين ، ولا غيرها وبهذا قال مالك والشافعي وأبو حنيفة ، وداود وجمهور العلماء وقال أحمد تجب فيه كفارة اليمين . اهـ

- ومن أهل العلم من ذهب إلى وجوب الكفارة عليه :

قال ابن قدامة رحمته : إن المعصية لا تحل في حال ويجب على الناذر كفارة يمين ، روي نحو هذا عن ابن مسعود وابن عباس وجابر وعمران بن حصين وسمرة بن جندب ، وبه قال الثوري وأبو حنيفة وأصحابه . اهـ

ورجحه ابن قدامة رحمته ، وهو رواية عن أحمد كما ذكر النووي سابقاً .

وقال الشوكاني رحمته : هو قول أحمد ، والثوري ، وإسحاق ، وبعض الشافعية ، والحنفية . اهـ

وهو اختيار اللجنة الدائمة وعلى رأسهم الشيخ ابن باز رحمته ، والشيخ ابن عثيمين رحمته والشيخ الألباني رحمته والشيخ الفوزان وغيرهم .

- وما استدلووا به حديث عائشة المتقدم : ((.. ، ومن نذر أن يعصيه الله فلا يعصه))
ففي الحديث إثبات كونه نذراً .

قال ابن عثيمين رحمته :

وما دام أنه نذر فقد انعقد ؛ لأنه ألزم نفسه به ، ولا يمكن أن يوفي به ؛ لأنه معصية
وحيثُ يكون نذر نذراً لم يوفه فعليه الكفارة ؛ كما لو حلف أن يفعل معصية فإننا
نقول له لا تفعلها وعليه كفارة يمين . اهـ

ومن أدلتهم حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : ((النذر نذران : فما كان لله فكفارته
الوفاء ، وما كان للشيطان ، فلا وفاء فيه ، وعليه كفارة يمين)) . صححه الألباني في
الصحيحة (٤٧٩) .

وهذا القول هو الراجح ، وعليه فتوى الصحابة والله أعلم .

راجع شرح مسلم حديث رقم (٤٢٢١) ، والمغني (١٣ / ٤٤٠ - وما بعدها) ، ونيل
الأوطار (١٥ / ٣٧٣) ، وتوضيح الأحكام للبسام رقم (١١٩٤) ، وفتاوى اللجنة
الدائمة (٢٣ / ٢٤١) ، والشرح الممتع (٦ / ٤٥٦) ، والصحيحة (٤٧٩) .

➤ نذر المكروه :

مثل أن ينذر أن يطلق زوجته :

قال ابن قدامة رحمه الله: مسألة: فإن نذر مكروهاً كالطلاق استحب أن يكفر ولا يفعله ؛ لأن ترك المكروه أولى من فعله ، فإن فعله فلا كفارة عليه. اهـ

قال الألباني رحمه الله:

من نذر عصيان للرحمن ، وطاعة للشيطان ، فلا يجوز الوفاء به وعليه الكفارة كفارة اليمين ، وإذا كان النذر مكروهاً أو مباحاً ، فعليه الكفارة من باب أولى. اهـ
راجع المغني (١٣ / ٤٤٢) مع الشرح الكبير ، وراجع الشرح الممتع (٦ / ٤٥٤)، والصحيحة (٤٧٩) .

نذر المباح :

قال ابن قدامة رحمه الله:

المباح كلبس الثوب وركوب الدابة فهذا يتخير الناذر فيه بين فعله فيبر بذلك ، وإن شاء تركه وعليه كفارة يمين. اهـ

راجع المغني مع الشرح (١٣ / ٤٤٣) وراجع الممتع (٦ / ٤٥٤) .

نذر اللجاج والغضب:

مثل أن يقول: إن فعلت كذا فلله علي نذر أن أصوم سنة، وغرضه أن يمنع نفسه من ذلك .

فهذا يُسميه العلماء نذر اللجاج والغضب، وإن لم يكن فيه لجاج أو غضب.

قال ابن قدامة رحمته:

نَذْرُ اللَّجَاجِ وَالْغَضَبِ، وَهُوَ الَّذِي يُخْرِجُهُ مَخْرَجَ الْيَمِينِ، لِلْحَثِّ عَلَى فِعْلِ شَيْءٍ أَوْ الْمُنْعِ مِنْهُ، غَيْرَ قَاصِدٍ بِهِ لِلنَّذْرِ، وَلَا الْقُرْبَةِ، فَهَذَا حُكْمُهُ حُكْمُ الْيَمِينِ. اهـ

قال ابن عثيمين رحمته:

يخير بين فعله وكفارة يمين: كاليمين، يعني كما لو حلفت على شيء، فإن فعلته فلا كفارة، وإن لم تفعله فعليك الكفارة...، لأنه بمعنى اليمين؛ لأنه لم يقصد بهذا النذر إلا المنع، أو الحمل، أو التصديق، أو التكذيب، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى» وعلى هذا فتوى الصحابة كما في "مصنف ابن أبي شيبة" (٥٢٢/٧). وهو الذي رجحه شيخ الإسلام وأنه من أيمان العرب، وابن القيم، وابن باز وغيرهم.

راجع المغني لابن قدامة (١٠ / ٤)، ومجموع الفتاوى (٢٥٣-٢٥٦/٣٥)، الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥ / ٢١٢)، وتعليق الشيخ محمد بن حزام على "فتح المجيد" (٢٦٤).

❶ النَّذْرُ الْمُبْنِيّ:

قال ابن قدامة رحمته: وَهُوَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ عَلَى نَذْرٍ. فَهَذَا تَجِبُ بِهِ الْكَفَّارَةُ، فِي قَوْلٍ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَجَابِرٍ وَعَائِشَةَ. وَبِهِ قَالَ:

الْحَسَنُ، وَعَطَاءٌ، وَطَاوُسٌ، وَالْقَاسِمُ، وَسَالِمٌ، وَالشَّعْبِيُّ، وَالنَّخَعِيُّ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمَالِكٌ، وَالثَّوْرِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ. وَلَا أَعْلَمُ فِيهِ مُخَالَفًا إِلَّا الشَّافِعِيَّ، قَالَ لَا يَنْعَقِدُ نَذْرُهُ، وَلَا كَفَّارَةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ مِنَ النَّذْرِ مَا لَا كَفَّارَةَ فِيهِ. وَالْأَوَّلُ قَوْلُ مَنْ سَمَّيْنَا مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَلَا نَعْرِفُ لَهُمْ فِي عَصْرِهِمْ مُخَالَفًا، فَيَكُونُ إِجْمَاعًا. اهـ.

المغني لابن قدامة (١٠ / ٥).

❷ النذر الشرعي :

كَأَن يَنْذِرَ أَنْ يَذْبَحَ لِلْوَلِيِّ الْفُلَانِي .

وحكم هذا النذر أن الوفاء به شرك أكبر مخرج من الملة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته: وأما النذر للموتى من الأنبياء والمشايخ وغيرهم أو لقبورهم أو المقيمين عند قبورهم فهو نذر شرك ومعصية لله تعالى ، سواء كان النذر نفقة أو ذهباً أو غير ذلك ، وهو شبيه بمن ينذر للكنائس والرهبان وبيوت الأصنام. اهـ.

ومن وقع في هذا النذر الشركي عليه أن يستغفر الله ويتوب إليه ولا يلزمه كفارة لأنه شركي لا حرمه له ولا ينعقد.


وقال شيخ الإسلام رحمته:

من نذر لمخلوق لم ينعقد نذره ولا وفاء عليه بإتفاق العلماء. اهـ

قال ابن عثيمين رحمته:

حكم النذر لغير الله شرك ، لأنه عباده للمندور له ، وإذا كان عبادة ، فقد صرفها لغير الله ، فيكون مشركاً ، وهذا النذر لغير الله لا ينعقد إطلاقاً ، ولا تجب فيه كفارة ، بل هو شرك تجب التوبة منه ، كالحلف بغير الله ، فلا ينعقد وليس فيه كفارة ، وأما نذر المعصية ، فينعقد ، لكن لا يجوز الوفاء به ، وعليه كفارة يمين ، كالحلف بالله على المحرم ينعقد وفيه كفارة. اهـ

راجع مجموع الفتاوى (٢ / ١٤٠)، (٣٣ / ١٢٣)، راجع القول المفيد (١ / ٢٤٥) .

قوله: الخوف


تعريف الخوف :

الخوف لغة: تدلّ مادّة (خ وف) على الدّعر والفزع، يقول ابن فارس: الخاء والواو والفاء أصل واحد يدلّ على الدّعر والفزع، يقال خفت الشّيء خوفا وخيفة.

واصطلاحا:

عرّفه العلماء عدّة تعريفات تبعا لاختلاف نظرة كلّ منهم، فيقول الرّاغب: الخوف: توقّع مكروه عن أمانة مظنونة أو معلومة. ويضادّه الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدّنيويّة والأخرويّة.

ويقول الجرجاني:

الخوف توقّع حلول مكروه أو فوات محبوب.

وقيل: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف،
وقيل: فزع القلب من مكروه يناله أو من محبوب يفوته.
وصف قائم بالقلب يؤدي إلى فعل الأوامر وترك النواهي.
نصرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٥ / ١٨٦٧)

من معاني كلمة الخوف في القرآن الكريم:

قال الفيروز آبادي: وقد ورد الخوف في القرآن الكريم على وجوه منها:
الأول: بمعنى القتل والهزيمة: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ" (النساء / ٨٣)، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ (البقرة / ١٥٥)، أي القتل.
الثاني: بمعنى الحرب والقتال: (فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالْأَسِنَّةِ حِدَادٍ) (الأحزاب / ١٩)، أي إذا انجلى الحرب، فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ (الأحزاب / ١٩)، أي الحرب.

الثالث: بمعنى العلم والدراية: (فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا) (البقرة / ١٨٢)، أي علم، إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ (البقرة / ٢٢٩)، أي يعلم، وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى (النساء / ٣)، أي علمتم.

الرَّابِع: بمعنى النقص: (أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ) (النحل / ٤٧)، أي تنقص.

الخامس: بمعنى الرعب والخشية من العذاب والعقوبة: يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا (السجدة / ١٦) «٢».

مسألة : ما هو الخوف النافع؟

هو ما ردك عن المعاصي والمحرمات ومن باب أولى الكفريات والشرقيات.

أما الخوف الذي يرد عن المكروهات هذا لا يَرُد؛ لأن فعل المكروهات ليس فيه خوف، والخوف يتعلق بما تُعاقب عليه، والمكروهات لا عقاب فيها.

المعتصر شرح كتاب التوحيد (ص: ١٩٥)

مسألة : أقسام الخوف :

❶ الأول : خوف عبادة :

وهو الخوف من الله وحده لا شريك له ، وهذا النوع عبادة قلبية تعبدنا الله بها .

قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِتَّانَ﴾ [الرحمن: ٤٦]

قال ابن عثيمين رحمته الله:

والخوف من الله يكون محموداً ويكون غير محمود:

- فالمحمود ما كانت غايته أن يحول بينك وبين معصية الله ، بحيث يملكك على فعل الواجبات وترك المحرمات .

- غير المحمود ما يحمل العبد على اليأس من روح الله والقنوط ، وحينئذ يتحسر العبد وينكمش وربما يتهادى في المعصية لقوة يأسه .

❧ الثاني : خوف شرك : وله صورتان

أ- أن يخاف من حي حاضر كخوفه من الله أو أشد .

ب- خوف السر : كأن يخاف صاحب القبر ، أو غائباً بعيداً عنه لا يؤثر فيه لكنه يخافه مخافة سر فهذا أيضاً من الشرك .

❧ الثالث : خوف معصية:

وهو أن يخاف العبد من إنسان فيترك واجباً ، أو يرتكب محرماً خوفاً منهم ، ولم يصل إلى حد الإكراه ، فهذا خوف معصية .

❶ الرابع : خوف طبيعي :

وهو كخوف الإنسان من السبع والنار والغرق ، وهذا جائز لا يلام عليه العبد ، وهو غير مذموم ما دامت أسبابه حقيقية.

قال تعالى: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ القصص: ١٨ .

لكن يشترط فيه أن لا يتعدى الخوف الطبيعي ، فإن أدى هذا الخوف إلى فعل محرم أو ترك واجب فهو من خوف المعصية . وإن وصل إلى خوفه من الله أو أشد فهو خوف شركي .

❷ الخامس : خوف وهمي :

كالخوف الذي ليس له سبب أصلاً ، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء ، وقد تعوذ صلى الله عليه وآله وسلم من الجبن ، فهو من الأخلاق الرذيلة .

قوله : الرجاء.....

تعريف الرجاء

❧ قال الراغب الأصفهاني رحمته الله: الرجاء توقع محبوب عن أمانة مظنونة، أمعلومة. اهـ

قال ابن القيم رحمته الله: الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله. اهـ

مدارج السالكين (٢ / ٣٦).

فالطائع يطمع في ثواب الله ، والعاصي يطمع في رحمة الله .

❖ ضابط الرجاء الممدوح :

❖ قال شيخ الإسلام رحمه الله: وَالْحَشِيَّةُ أَبَدًا مُتَّصِمَةٌ لِلرَّجَاءِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَتْ قُنُوطًا؛
كَمَا أَنَّ الرَّجَاءَ يَسْتَلْزِمُ الْخَوْفَ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ أَمْنًا؛ فَأَهْلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ وَالرَّجَاءِ لَهُ هُمْ
أَهْلُ الْعِلْمِ الَّذِينَ مَدَحَهُمُ اللَّهُ. اهـ راجع مجموع الفتاوى (٢١ / ٧)

❖ أقسام الرجاء :

قال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين (٢ / ٣٦) :

والرجاء ثلاثة أنواع : نوعان محمودان ونوع غرور مذموم

نوعان محمودان :

١/ رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه ،

٢/ ورجل أذنب ذنوب ثم تاب منها فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه
وجوده وحلمه وكرمه.

نوع مذموم :

٣/ رجل متماد في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني
والرجاء الكاذب. اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

المقصود من الرجاء أَنَّ من وقع منه تقصير فليحسن ظنه بالله ويرجو أن يمحو عنه
ذنبه، وكذا من وقع منه طاعة يرجو قبولها، وأمَّا من انهمك على المعصية راجيا عدم

المؤاخذه بغير ندم ولا إقلاع فهذا في غرور. وما أحسن قول أبي عثمان الجيزي: من علامة السعادة أن تطيع، وتخاف أن لا تقبل، ومن علامة الشقاء أن تعصي، وترجو أن تنجو. اهـ

راجع الفتحة (١١ / ٣٠١).

❖ ضابط الرجاء الخاص بالله عز وجل :

قال ابن عثيمين رحمته الله: الرجاء المتضمن للذل والخضوع ، لا يكون إلا لله عز وجل ، وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر ، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي . اهـ
راجع فتاوى ابن عثيمين (٦ / ٥٣) .

فتعليق الرجاء بغير الله شرك إما أكبر وإما أصغر، وإن كان الله تعالى قد جعل لها أسباباً، فالسبب لا يستقل بنفسه بل لابد له من معاون، ولا بد من انتفاء الموانع، وهو لا يحصل ولا يبقى إلا بمشيئة الله تعالى .

❖ والفرق بين الرجاء والإرجاء :

أن الرجاء هو اعتقاد أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، والإرجاء : هو اعتقاد أن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك من الذنوب جميعاً . راجع معرفة الفروق ، لأبي عمار ياسر العدني .

قال العلامة الشنقيطي رحمه الله:

قَوْلُهُ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ [١٨ \ ١١٠] ، يَشْمَلُ كَوْنَهُ يَأْمُلُ ثَوَابَهُ ، وَرُؤْيَا وَجْهِهِ الْكَرِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَكَوْنَهُ يَخْشَى عِقَابَهُ ، أَيْ: فَمَنْ كَانَ رَاجِيًا مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ الثَّوَابَ الْجَزِيلَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ الشَّرِّ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

قال ابن القيم رحمه الله "مدارج السالكين (٢ / ٥٤) :

رجاء أرباب القلوب وهو رجاء لقاء الخالق الباعث على الاشتياق المبغض المنغص للعيش المزهد في الخلق هذا الرجاء أفضل أنواع الرجاء وأعلاها قال الله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠] ، ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]

وهذا الرجاء هو محض الإيمان وزبدته وإليه شخصت أبصار المشتاقين ولذلك سلاهم الله تعالى بإتيان أجل لقائه وضرب لهم أجلا يسكن نفوسهم ويطمئنهم. اهـ

مسألة : هل الأفضل للإنسان أن يغلب جانب الخوف أو يغلب جانب الرجاء ؟

أختلف في ذلك :

١/ فقيل : ينبغي أن يغلب جانب الخوف ،

ليحمله ذلك على اجتناب المعصية ثم فعل الطاعة .

٢/ وقيل : يغلب جانب الرجاء ،

ليكون متفائلاً ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يعجبه الفأل .

٣/ وقيل : في فعل الطاعة : يغلب جانب الرجاء ، فالذي من عليه بفعل هذه الطاعة

سيمن عليه بالقبول ، ولهذا قال بعض السلف : إذا وفقك الله للدعاء ، فانتظر

الإجابة ، لأن الله يقول : { وقال ربكم ادعوني أستجب لكم } [غافر : ٦٠] ،

وفي فعل المعصية يغلب جانب الخوف ، لأجل أن يمنعه منها ثم إذا خاف من

العقوبة تاب ، وهذا أقرب شيء ، ولكن ليس بذاك القرب الكامل ؛ لأن الله يقول :

{ والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله أنهم إلى ربهم راجعون } [المؤمنون : ٦٠] ،

أي : يخافون أن لا يقبل منهم ، لكن قد يقال هذه الآية يعارضها أحاديث أخرى ،

كقوله صلى الله عليه وسلم - في الحديث القدسي عن ربه : " أنه عند ظن عبدي بي ،

وأنا معه حين يذكرني " .

٤/ وقيل : في حال المرض يغلب جانب الرجاء ، وفي حال الصحة يغلب جانب

الخوف ، فهذه أربعة أقوال .

وقال الإمام أحمد رحمته الله : ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً ؛ فأيهما غلب هلك

صاحبه ، أي : يجعلهما كجناحي الطائر ، والجناحان للطائر إذا لم يكونا متساوين

سقط . القول المفيد على كتاب التوحيد (٢ / ٣٩)

قال ابن القيم رحمه الله: لا بدّ للعبد من سيره إلى الله من الجمع بين الأركان الثلاثة؛ فالحب بمنزلة الرأس للطائر، والخوف والرجاء جناحاه؛ فمتى سلم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطع الرأس مات الطائر، ومتى قُفِد الجناحان فهو عرضة لكل صائد وكاسر. اهـ

*** الفرق بين الرجاء والتمني:**

الفرق بينهما أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك صاحبه طريق الجِد، والاجتهاد. والرجاء يكون مع بذل الجهد، وحسن التوكل.

فالأول: كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذر بها، ويأخذ زرعها.

والثاني: كحال من يشق أرضه، ويفلّحها، ويبذر بها، ويرجو طلوع الزرع.

*** الرجاء لا يصح إلا مع عمل:**

فقد أجمع العلماء على أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل.

«أما ترك العمل، والتماذي في الذنوب؛ اعتماداً على رحمة الله، وحسن الظن به عز وجل فليس من الرجاء في شيء. بل هو جهل، وسفه، وغرور؛ فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المفرطين، المعاندين.

قوله: التوكل



التوكل لغة: من وكل أي اعتمد .

قال ابن عثيمين رحمه الله: التوكل على الله هو : الاعتماد على الله تعالى كفاية وحسبا في جلب المنافع ، ودفع المضار ، وهو من تمام الإيمان وعلاماته . اهـ
راجع فتاوى ابن عثيمين (٦ / ٥٤) وشرح الأصول الثلاثة .

* أنواع التوكل على الله:

قال ابن القيم رحمه الله: التوكل على الله نوعان :

أ - توكل عليه في جلب حوائج العبد وحظوظه الدنيوية ، أو دفع مكروهاته ومصائبه الدنيوية .

ب - التوكل عليه في حصول ما يحبه ويرضاه من الإيمان ، واليقين والجهاد والدعوة إليه .

وبين النوعين من الفضل ما لا يحصيه إلا الله ، فمتى توكل العبد في النوع الثاني حق توكله ، كفاه النوع الأول تمام الكفاية . اهـ راجع الفوائد (ص: ٨٩).

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

من ظن أن التوكل لا يطلب به إلا حظوظ الدنيا غلط، بل التوكل في الأمور الدينية أعظم. اهـ مجموع الفتاوى - (١٠ / ٢٠).

* ثمرة التوكل على الله :

قال تعالى ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيهِ .

قال ابن القيم رحمه الله: فانظر إلى هذا الجزاء الذي حصل للمتوكل ، ولم يجعله لغيره ، وهذا يدل على أن التوكل أقوى السبل عنده وأحبها إليه . اهـ

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ معنى الآية ومن يتوكل على الله أي يعتمد عليه في أموره فهو كافيهِ ، ومن كان الله كافيهِ فلا مطمع لأحد عليه ، ولم يذكر تعالى للتوكل جزاء غير تولي كفاية العبد ، فقال: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ولم يأت في غيره من العبادات ، فدل على عظم شأن التوكل وفضيلته ، وأنه أجل أنواع العبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر . اهـ

راجع مدارج السالكين (٢/ ١٠٧) ، وحاشية الأصول الثلاثة (ص: ٣٤) .

* فضيلة التوكل على الله :

قال ابن القيم رحمه الله: الدين بمجموعه ، في هذين الأمرين :

أ - أن يكون العبد على الحق في قوله وعمله ، واعتقاده ونيته ،

ب - وان يكون متوكلاً على الله واثقاً به ، فالدين كله في هذين المقامين ، وقال رسل الله وانبياءه: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢] ، فالعبد آفته إما من عدم الهداية ، وإما من عدم التوكل . فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمان كله . اهـ راجع مدارج السالكين (٢/ ١٠٦) .

*الأخذ بالأسباب المشروعة ليس قدحاً في التوكل :

قال شيخ الإسلام رحمته : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل ، والأعراض عن الأسباب المأمور بها قدح في الشرع ، فعلى العبد أن يكون قلبه معتمداً على الله لا على سبب من الأسباب ، والله ييسر له من الأسباب ما يصلحه في الدنيا والآخرة ، فإن كانت الأسباب مقدورة له وهو مأمور بها فعلها مع التوكل على الله ، كما يؤدي الفرائض ، وكما يجاهد العدو ، ويحمل السلاح ، ويلبس جنة الحرب ، ولا يكتفي في دفع العدو على مجرد توكله بدون أن يفعل ما أمر به من الجهاد ، ومن ترك الأسباب المأمور بها ، فهو عاجز مفرط مذموم . اهـ راجع مجموع الفتاوى (٨/ ٥٢٨-٥٢٩) .

قال ابن القيم رحمته :

أجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب ، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها وإلا فهو بطالة وتوكله فاسد .

وقال رحمته :

من أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب ، وقطع علاقة القلب بها ، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بدنه قيامه بها .

اهـ راجع مدارج السالكين (٢/ ٩٧-١٠١) .

❖ أقسام التوكل على العموم :

التوكل أنواع :

❶ الأول : التوكل على الله وهو من تمام الإيمان ، وعلامات صدقه ، وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به .

❷ الثاني : توكل السر بأن يعتمد على ميت في جلب منفعة ، أو دفع مضره فهذا شرك أكبر؛ لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً في الكون ، ولا فرق بين أن يكون نبياً ، أو ولياً ، أو طاغوتاً عدو لله تعالى .

❸ الثالث : أن يعتمد على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق سواء كان حياً أو ميتاً حاضراً أو غائباً وهذا أيضاً من الشرك الأكبر المخرج من الملة .

❹ الرابع : التوكل على المخلوق فيما أقدره الله عليه من رزق ، أو دفع أذى ونحو ذلك من الاعتماد على الأسباب فهذا شرك أصغر .

ومن أمثلة هذا النوع :

الاعتماد على الطبيب الماهر في حصول الشفاء ، والاعتماد على كثرة الجيش وقوته لحصول النصر ، وغير ذلك من الأمثلة التي يكون فيها تعلق القلب على الأسباب تعلقاً تاماً ، مع الغفلة عن المسبب وهو الله سبحانه وتعالى .

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمته:

المخلوق ولو كان عنده نوع قدره ، فلا يعتمد عليه ولو فيما أقدره الله عليه ، بل يعتمد العبد على الله عز وجل وحده ، فالتوكل عبادة قلبية ، فإن اعتمد على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فذلك هو الشرك الأكبر ، وإن اعتمد على الأحياء الحاضرين والسلطين ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحوه فهو نوع شرك أصغر. اهـ

❦ الخامس : أن يوكل غيره فيما يتصرف فيه المتوكل بحيث ينيب غيره في أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ، فقد قال يعقوب لبنيه: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ ﴾ ووكل النبي ﷺ على الصدقة عملاً وحفاظاً ، ووكل في اثبات الحدود وإقامتها ، ووكل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حجة الوداع أن يتصدق بجلودها وجلالها ، وأن ينحر ما بقي من المئة بعد أن نحر بيده ثلاثاً وستين ، وأما الإجماع على جواز ذلك فمعلوم من حيث الجملة. اهـ

راجع أقسام التوكل في شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ، وحاشية الأصول الثلاثة للقاسم .

قال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم رحمته:

المباح أن يوكل شخصاً بالنيابة في التصرف في أمور دنياه ، لكن لا يقول توكلت عليه بل وكلته فإنه لو وكله فلا بد في أن يتوكل في ذلك على الله. اهـ راجع حاشيته على الأصول (ص: ٣٣)

* هل يقال للمخلوق [توكلت عليك]؟

سئل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمته الله كما في الفتاوى (١ / ١٧٠):

عن قول بعض العامة: توكلت عليك يا فلان في كذا؟

فأجاب: - هذا شرك. أما التوكيل فيجوز، لأنه استنابة. اهـ

وهو شرك لفظي أصغر لكن إذا نادى غائباً أو اعتمد على مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله فيكون شركاً أكبر.

* ما حكم قول "توكلت على الله وعليك"، أو "توكلت على الله ثم عليك"؟ وما

الفرق بين التوكل الذي هو عمل قلبي والتوكل الذي هو عمل بدني؟

الجواب: التوكل عبادة يتقرب المؤمنون بها إلى ربهم، والعبادات حق خالص لله تعالى، ولذلك لا يجوز التوكل على غير الله - تعالى -، قال سبحانه في وصف المؤمنين: "وعلى ربهم يتوكلون" [الأنفال: ٢] فتقديم المعمول يفيد الحصر أي أنهم لا يتوكلون على غير ربهم، فلا يجوز للعبد أن يقول: توكلت على الله وعلى فلان، أو يقول: توكلت على الله ثم على فلان يمنع من الكل، والتوكل على المخلوق نوعان أولهما: فيما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك أكبر، وثانيهما فيما يقدر عليه المخلوق

فيكون شركاً أصغر، والتوكل تفويض الأمور لله والاعتماد عليه، ولا يتنافى مع فعل الأسباب، بينما التواكل ترك الأسباب بعدم مزاوله الأعمال، والتواكل نقص في الدين والعقل. راجع مدارج السالكين (١ / ٣٥٢). والقول المفيد (٢ / ٣٩١)

قوله : الإجابة.....

الإجابة في اللغة : الرجوع وهي ههنا الرجوع إلى الحق.

والإجابة شرعا :

قال صاحب المنازل رحمته : هي الرجوع إلى الله، وأصلها محبة القلب وخضوعه وذله للمحسوب المراد، فمن لا يُحِبُّ لا يمكن الإجابة إليه .

قال ابن القيم رحمته : " الإجابة هي عكوف القلب على الله عز وجل، كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه ، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم ، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له، والمتابعة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - " راجع الفوائد ص ٣٤١ .

الفرق بين التوكل والإجابة ؟

قال ابن القيم رحمته : " التوكل نصف الدين ، والنصف الثاني الإجابة ، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة ، والإجابة هي العبادة ، ومنزلته أوسع المنازل

وأجمعها " ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، قال ابن القيم : " منزلة التوكل قبل منزلة الإنابة ، لأنه يتوكل في حصولها ، فالتوكل وسيلة والإنابة غاية " اهـ .
مدارج السالكين (٢ / ١١٣) .

مسألة : الفرق بين الإنابة والتوبة ؟

قال ابن القيم رحمه الله : والإنابة بمعنى التوبة ولكنها أعلى من التوبة ، لأن التوبة إقلاع وعزم على أن لا يعود وندم على ما مضى ، فإن استمر على ما هو عليه من عباداته فهو تائب ، فإذا أقبل على الطاعات بعد توبته كقراءة القرآن والصدقة فهذه إنابة إلى الله ، فمن تاب من السرقة مثلاً كان تائباً ، فإذا أقبل على الطاعات بعد التوبة كالاستغفار والذكر ونحوهما كان منيباً ، فالإنابة تدل على التوبة ، وتدل على الإقبال على الله بالعبادات .

والمصنف اقتصر على ذكر الإنابة ولم يذكر التوبة من أنواع العبادة ، لأن صورة العبادة بالنسبة للإنابة ، أوضح من صورتها بالنسبة إلى التوبة ، بسبب زيادة الإقبال على العبادة ، ولأن الإنابة أعم من التوبة

وإنابة أوليائه إنابة لإلهيته إنابة عبودية ومحبة ، وهي تتضمن أربعة أمور : محبته ، والخضوع له ، والإقبال عليه ، والإعراض عما سواه ، فالمنيب إلى الله المسرع إلى

مرضاته الراجع إليه كل وقت ، المتقدم إلى محابه ، لأن لفظ الإنابة فيه معنى الإسراع والرجوع والتقدم "راجع مدارج السالكين ١ / ٤٣٤ .

فائدة :

والفطرة دالة على الإنابة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه" الفتاوى ٢ / ٦ .

فضائل الإنابة :

١ / الإنابة إلى الله دأب الأنبياء والمرسلين، عليهم الصلاة والسلام .

قال سبحانه عن داود عليه السلام : { وظن داود أنها فتناء فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب } .

وقال عن سليمان عليه السلام : { ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب } .

وقال شعيب عليه السلام : { وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب } .

وقال نبينا محمد ﷺ : { ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب } .

وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه والرجوع إليه في كل أمر، قال سبحانه: { إن إبراهيم لحليم أواه منيب } .

٢- والبشارة لأهل الإنابة قال جل وعلا :

{ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشري } .

٣- ولا يعتبر بالآيات، ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربه،

قال عز وجل : { تبصرة وذكرى لكل عبد منيب } .

قال ابن القيم رحمه الله : " العبد إذا أناب إلى الله، أبصر مواقع الآيات والعبر، فاستدل

بها على ما هي آيات له " مدارج السالكين ١ / ٤٤٢ .

٤- والإجابة إلى الله مانعة من عذاب الله .

قال عز وجل : { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا

تنصرون }

٥- الجنة أعدت نزلاً للقلب الخاشع المنيب .

قال جل وعلا : { وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أبواب حفيظ

من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب } ،

٦- أمر الله جميع الخلق بالإجابة إليه والرجوع إليه،

قال سبحانه : { منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين } ،

ومنزلة التوكل قبل منزلة الإجابة ، لأنه يتوكل في حصولها ، فالتوكل وسيلة والإجابة

غاية .

٧- والإِناية من أسباب سعادة العبد في الدارين ،

قال شيخ الإسلام رحمه الله : " العبد إنما خلق لعبادة ربه ، فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه " . ولكون الإِناية منزلة عالية عند الله فإن الشيطان يسعى لصدد العبد عنها . اهـ

وقال شيخ الإسلام رحمه الله : " الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإِناية إلى ربه ، والتقرب إليه والاتصال به " . اهـ راجع الفتاوى (٧ / ٢٨١) .

درجات الناس في الإِناية :

والإِناية عبادة يتفاوت العباد فيها ، قال ابن القيم رحمه الله : " والناس في إنباتهم على درجات متفاوتة ،

(١) فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي ،

(٢) ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات ،

(٣) ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال

الحاجات كلها منه "

راجع طريق الهجرتين (ص: ٢٩٢) ، ومدارج السالكين (١ / ٧٤) .

قوله: المحبة.....

تعريف المحبة وحدُّها:

قال ابن القيم رحمه الله:

لا تُحدُّ المحبةُ بحدٍّ أوضح منها؛ فالحدود لا تزيدها إلا خفاءً، وجفاءً، فحدُّها
وُجُودُها، ولا توصف المحبة بوصفٍ أظهرَ من المحبة.

أقسام المحبة :

١_ محبة عبادة: وهي محبة التذلل، والتعظيم، وأن يقوم بقلب المحب من إجلال المحبوب، وتعظيمه ما يقتضي امتثال أمره، واجتناب نهيه.

وهذه المحبة أصل الإيمان والتوحيد، وهي التي يترتب عليها من الفضائل ما لا يمكن حصره وعدّه. ومنّ صرف تلك المحبة لله فهو المؤمن الموحد، ومن صرفها لغير الله فقد وقع في المحبة الشركية؛ حيث أشرك بالله عز وجل

٢/ المحبة الشركية: كمحبة المشركين الذين يحبون آلهتهم، وأندادهم كمحبة الله، من شجر، أو حجر، أو بشر، أو ملك أو غيرها كمحبة الله أو أكثر؛ فهذه المحبة أصل الشرك، وأساسه.

٣/ محبة الله عز وجل: كمحبة ما يحبه الله من الأمكنة، والأزمنة، والأشخاص، والأعمال، والأقوال، ونحو ذلك؛ فهذه المحبة تابعة لمحبة الله.

٣/ المحبة الطبيعية: ويدخل تحت هذه المحبة ما يلي:

أ_ محبة إشفاق ورحمة: كمحبة الوالد لولده، وكمحبة المرضى، والضعفاء.

ب_ محبة إجلال وتعظيم دون عبادة: كمحبة الولد لوالده، وكمحبة التلميذ لمعلمه وشيخه، ونحو ذلك.

ج_ محبة الإنسان ما يلائمه: كمحبة الطعام، والشراب، والنكاح، واللباس، والأصدقاء، والخلطاء، ونحو ذلك.

فهذه المحاب داخلة في المحبة الطبيعية المباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في باب الطاعة، وإن صدت عن محبة الله، وتوسّل بها إلى ما لا يحبه الله دخلت في المنهيات، وإن لم تُعِن على طاعة، ولا معصية فهي في دائرة المباحات. راجع الترتيب الفريد من شروحات كتاب ثلاث رسائل في المحبة (ص: ٨)

فائدة :

✽ ذكر ابن القيم رحمه الله أن الأسباب الجالبة لمحبة الله لعبده ومحبة العبد لربه عشرة: أحدها: قراءة القرآن بالتدبر لمعانيه وما أريد به.

الثاني: التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض كما في الحديث القدسي: "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" رواه البخاري.

الثالث: دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصييه من المحبة على قدر هذا.

الرابع: إثثار محابه على محابك عند غلبات الهوى.

الخامس: مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها.

السادس: مشاهدة بره وإحسانه ونعمه الظاهرة والباطنة.

السابع: وهو أعجبها: انكسار القلب بين يديه.

الثامن: الخلوة به وقت النزول الإلهي آخر الليل وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة.

التاسع: مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطاب ثمرات كلامهم، ولا تتكلم إلا إذا ترجحت مصلحة الكلام وعلمت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك.

العاشر: مباحدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل.

فمن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب اهـ راجع مدارج السالكين (٣/ ١٧ - ١٨).

❖ فمحبته الله لها علامات تدل عليها :

منها : أن من أحب الله تعالى؛ فإنه يقدم ما يحبه الله من الأعمال على ما تحبه نفسه من الشهوات والملذات والأموال والأولاد والأوطان .

ومنها : أن من أحب الله تعالى؛ فإنه يتبع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به، فيفعل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه؛

الدليل: قال تعالى : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ }

قال بعض السلف :

" ادعى قوم محبة الله، فأنزل الله تعالى آية المحبة : { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } ؛ ففي الآية بيان دليل محبة الله وثمرتها وفائدتها؛ فدليلها وعلامتها : اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وفائدتها وثمرتها : نيل محبة الله للعبد ومغفرته لذنوبه " .

الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد (ص: ٦٦)
 ◀ بعض أسباب نيل محبة الله

القرآن والسنة مملوءان بذكر من يحبه الله سبحانه من عباده المؤمنين :

١/ الصابرين كقوله تعالى: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ } سورة آل عمران آية ١٤٦ .

٢/ المحسنين كقوله تعالى: { وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } سورة آل عمران آية ١٣٤ .

٣/ التوايين والمتطهرين: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ } سورة البقرة: ٢٢٢

٤/ المجاهدين: { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُصُوصٌ }

سورة الصف آية ٤ .

٥/ المتقين كقوله تعالى: { فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }

٦/ التوكل: { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَنْ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ }

قوله: والخشية.....



تعريف الخشية :

الخشية لغة: الخشية مصدر خشي وهو مأخوذ من مادة (خ ش ي) التي تدلّ على خوف وذعر،

اصطلاحاً: قال الرّاغب: الخشية هي خوف يشوبه تعظيم.

مسألة: الفرق بين الخوف والخشية ؟

الخشية نوع من الخوف، لكنها أخص منه والفرق بينهما:

١/ أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله، لقوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء } (فاطر: ٢٨)، والخوف قد يكون من الجاهل.

٢/ أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي، بخلاف الخوف، فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف.

لقوله: { فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين } . الشاهد من الآية: قوله: { ولم يخش إلا الله } ، ولهذا قال تعالى: { فلا تخشوا الناس واخشون } (المائدة: ٤٤) ومن علامات صدق الإيمان أن لا يخشى إلا الله في كل ما يقول ويفعل.

راجع مدارج السالكين (١/ ٥٤٩)، والتعليقات العلمية التقريرية على القواعد الأربع وثلاثة الأصول التوحيدية (ص: ١٧).

قال ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٥٤٩):

"فالخوف حركة والخشية انجماع وانقباض وسكون فإن الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان إحداهما حركة للهرب منه وهي حالة من الخوف .

والثانية سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه فيه وهي الخشية ا . هـ .

والخشية من الأمور التي تأتي على غير وجه التعبد كما قال صلى الله عليه وسلم: " فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى " متفق عليه عن ابن عمر . والخشية الشركية هي خشية غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله . اهـ .

الخشية : وهي الخوف من الشخص ، فإذا خفت من شخص معين بغض النظر عن العقوبة التي سوف يوقعها بك فهذه تسمى خشية ، ولذا فهناك فرق بين الخوف والخشية ،

فالخوف : هو القلق والاضطراب من العقوبة والمكروه ؛ والخشية : هو الخوف من الشخص ذاته ، فإذا أراد زيد أن يقتلك فاضطربت وقلقت من القتل هذا يسمى خوفاً ، أما لو خفت من زيد لذاته بغض النظر عن نوع العقوبة فيقال خشية ، وهذا يدل عليه من القرآن قوله تعالى : { يخشون ربهم ويخافون سوء الحساب } فجعل الخشية لله والخوف للحساب ، قوله { الذين هم من خشية ربهم مشفقون } ، متى تكون الخشية توحيداً ؟ إذا تعلق خشيته بالله .

متى تكون الخشية شركاً ؟ إذا اضطرب قلبك من صاحب القبر أو من جماد بغض النظر عما سوف يفعل بك .

قال ابن القيم رحمه الله :

"والخشية عبادة عظيمة لا تصرف إلا لله (ودليل) أن (الخشية) عبادة من العبادات قوله تعالى : (فلا تخشوهم) فليسوا أهلاً للخشية (واخشوني) لأن خشيته تعالى رأس كل خير، فمن لم يخش الله لم ينكف عن معصيته، ولم يمثل أمره ، : " ولا يمكن لأحد قط أن يصل ما أمر الله بوصله إلا بخشيته ، ومتى ترحلت الخشية من القلب، انقطعت هذه الوصل . اهـ

فضائل الخشية :

١/ من خشي ربه رزقه الله حياة القلب من المواعظ والعبر قال سبحانه : (سيذكر من يخشى)، وقال سبحانه : (إن في ذلك لعدة لمن يخشى)

٢/ آثار الخضوع لله بادية لمن يخشاه وقال سبحانه : (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله .

٣/ والهداية إنما هي وسيلة إلى الخشية كما قال جل وعلا : (وأهديك إلى ربك فتخشى)

٤/ وهي موجبة لمغفرة الله وفضله العليم قال سبحانه : (إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير)

٥/ وهي موجبة لجنات النعيم قال عز وجل : (جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) .

٦/ وأخشى الناس لله هم أعرفهم به ، والعالم حقاً هو من خشي الله قال سبحانه :
(إنما يخشى الله من عباده العلماء)

قال شيخ الإسلام رحمه الله : " كل من خشي الله ، فهو عالم "

قال ابن مسعود (: " كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً ")

٧/ وكل من خشيه فأطاعه بفعل أو امره وترك نواهيه فهو عالم كما ، قال تعالى : (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ) .

٨/ ومن خشي ربه عاش بين الخلق عزيزاً ، وفي حياته سعيداً . فاجعل ربك بين ناظريك ، واخش الأمن من مكره وحلول عقوبته ، وأكثر من الطاعات لتنال خشيته تعالى ، وهو سبحانه أهل أن يخشى وقد أمر بخشيته وحده ، ونهى عن خشية من سواه قال سبحانه : (فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعِي عَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) .

قوله الرغبة.....

تعريف الرغبة :

الرغبة لغة / هي السعة يقال رغب الشيء أي اتسع اهـ . فعلى هذا هي الإرادة الواسعة والقوية.

وتأتي بمعنى الحرص هو الإرادة القوية . وتأتي بمعنى العطاء الكثير ، فإذا كانت في الدعاء فالرغبة فيه إطالته وكثرته والسعة فيه ويسمى دعاء رغبة والإطالة في العبادة تسمى عبادة رغبة . راجع المصباح المنير.

وذكر المناوي: أنّ الرّغبة إرادة الشّيء مع حرص عليه، فإذا قيل رغب فيه وإليه اقتضى الحرص عليه، وإذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرّغبة عنه والزّهد فيه.

الرغبة هي : محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

" مسألة " متى تكون الرغبة توحيدا ؟

كثرة الإقبال على الله وسعة الإقبال على الله دعاء وعملاً وعبادة يكون توحيدا.

" مسألة " متى تكون الرغبة شركاً ؟

بالإقبال على الأموات والغائبين، أو طلب ما لا يقدر عليه إلى الله من الأحياء الحاضرين .

❖ الفرق بين الرغبة والرجاء:

قال ابن القيم رحمه الله: " والفرق بين الرغبة والرجاء: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه، والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف " الفوائد (١٧٧).

والمقصود: أن الرّاجي طالب، والخائف هارب، وأنّ الرّغبة: هي الرّجاء بالحقيقة؛ لأنّ الرّجاء طمع يحتاج إلى تحقيق، أي طمع في معيّب عن الرّجاء مشكوك في حصوله، وإن كان متحقّقاً في نفسه، كرجاء العبد دخوله الجنّة؛ فإنّ الجنّة متحقّقة لا شكّ فيها، وإنّما الشكّ في دخوله إليها، وهل يوافي ربّه بعمل يمنعه منها أم لا؟. بخلاف الرّغبة، فإنّها طلب، وإذا قوي الطّمع صار طلباً.

❖ وقد أمر الله نبيه محمداً (أن يرغب إليه وحده جل وعلا فقال: (وإلى ربك فارغب).

قال ابن عثيمين رحمته الله في تفسيره:

{ فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب } أي إذا فرغت من أعمالك فانصب لعمل آخر، يعني اتعب لعمل آخر، لا تجعل الدنيا تضيع عليك، ولهذا كانت حياة الإنسان العاقل حياة جد، كلما فرغ من عمل شرع في عمل آخر، وهكذا؛ لأن الزمن يفوت

على الإنسان في حال يقظته ومنامه، وشغله وفراغه، يسير ولا يمكن لأحد أن يمسك الزمن، لو اجتمع الخلق كلهم ليوقفوا الشمس حتى يطول النهار ما تمكنوا، فالزمن

لا يمكن لأحد أن يمسكه، إذاً أجعل حياتك حياة جد، إذا فرغت من عمل فانصب في عمل آخر، إذا فرغت من عمل الدنيا عليك بعمل الآخرة، فرغت من عمل الآخرة اشتغلت بأمر الدنيا .

فإذا فرغنا من شغل اشتغلنا في آخر، وإذا فرغنا منه اشتغلنا في آخر وهكذا ينبغي أن يكون الإنسان دائماً في جد..

فإذا قال قائل: لو أنني استعملت الجد في كل حياتي لتعبت ومللت.

قلنا: إن استراحتك لتنشيط نفسك وإعادة النشاط يعتبر شغلاً وعملاً، يعني لا يلزم الشغل بالحركات ففراغك من أجل أن تنشط للعمل الآخر يعتبر عملاً، المهم أن تجعل حياتك كلها جدّاً وعملاً. {وإلى ربك فارغب} يعني إذا عملت الأعمال التي فرغت منها ونصبت في الأخرى، فارغب إلى الله عز وجل في حصول الثواب، وفي حصول الأجر. اهـ

قوله : والرهبنة.....

تعريف الرهبنة :

الرهبنة لغة:

الرَّهْبَةُ مصدر قولهم رهب، يقال رهب بكسر ثانيه - يرهب - بالفتح - رهبة ورهبا (بالضّم) ورهبا (بالتّحريك) أي خاف وكلّ ذلك مأخوذ من مادّة (ر ه ب) الّتي تدلّ كما يقول ابن فارس على معنيين:

أحدهما الخوف .

والآخر الدّقة والخفّة .

وقيل :

مأخوذة من الرهابة وهو العظم الذي على رأس المعدة فيقال جمل رهب إذا كان طويل العظام ، ويقال للعابد من النصارى راهب لأنه يطيل ويديم الخوف وهذا ما ذكره العسكري في الفروق اللغوية ص ٢٠٠ ،

الرغبة اصطلاحاً:

يقول الراغب: الرغبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب.
هي الخوف والفرع المثمر للهرب من المخوف ، فهي خوف مقرون بعمل .

قال ابن القيم رحمه الله :

" وأما الرغبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه ، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه " . والرغبة والرغبة لا تقوم إلا على ساق الصبر ، فرهبتها تحمله على الصبر ، ورغبته تقوده إلى الشكر ، وعبادتا الرغبة والرغبة تنحسران عن العبد بقدر ذنوبه، وتزيدان بزيادة إيمانه ، والعبد يناله التوفيق بإذن الله بقدر تلك العبادة .

" إذا أراد بعبده خيراً ، وفقه لاستفراغ وسعه ، وبذل جهده في الرغبة والرغبة إليه ، فإنهما مادتا التوفيق ، فبقدر قيام الرغبة والرغبة في القلب يحصل التوفيق " راجع الفوائد (١٧٩) .

مسألة: ما الفرق بين الخوف والرغبة ؟

الفرق زمني . فإذا اضطرب قلبك وقلقت فترة قصيرة هذا يسمى خوفاً أما لو طال الاضطراب والقلق وامتد فإنه يسمى رهبة . وهناك فرق آخر أن الخوف توقع الضرر المحتمل الذي قد يقع وقد لا يقع ،
ولذا إذا تذكرت أنه سيقع قلقت وإذا ذكرت أنه لا يقع اطمأنت .

أما الرهبة :

توقع الضرر المتيقن به . ولذا يطول الخوف فالمحكوم عليه بالقتل يقيناً . هذا يسمى راهب لن الضرر متيقن فتجده دائم الخوف حتى يقتل أما الذي لا يتوقع القتل في حقه فهذا يسمى خوفاً فقط . راجع الوجازة في شرح الأصول الثلاثة (ص: ٦٨).

متى تكون الرهبة عبادة ؟

إذا طال خوفه من الله .

متى تكون الرهبة شركاً ؟

إن وقع منك القلق والإضطرب من صاحب القبر أو مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله مع اعتقادك أن ضرره سيصل إليك فهذه عبادة رهبة وهي من الشرك الكبير، أو طال زمن خوفك منه فهذه عبادة رهبة للمخلوق .

قوله: التآله.....

تعريف التآله :

وهو أشد المحبة لله وحده وذلك يستلزم إخلاص العبادة وتوحيد العبادة لذلك وتوحيد الإرادة لأنه مبني على إرادة وجه الله بالأعمال وتوحيد القصد لأنه مبني على

إخلاص القصد المستلزم لإخلاص العبادة لله وحده وتوحيد العمل لأنه مبني على إخلاص العمل لله وحده قال الله تعالى { فاعبد الله مخلصا له الدين }

الترتيب الفريد من شروحات كتاب التوحيد (١٠ / ٥)

قال الإمام السعدي في "القول السديد" (ص: ٨٣):

اعلم أن الحقوق ثلاثة :

- حق خاص لله لا يشاركه فيه مشارك وهو التأله له وعبادته وحده لا شريك له ،
والرغبة والإنابة إليه حبا وخوفا ورجاء .

- وحق خاص للرسول وهو توقيهم وتبجيلهم والقيام بحقوقهم الخاصة .

- وحق مشترك وهو الإيمان بالله ورسله وطاعة الله ورسله ومحبة الله ومحبة رسله ،
ولكن هذه الله أصلا وللرسول تبعا لحق الله فأهل الحق يعرفون الفرقان بين هذه
الحقوق الثلاثة ، فيقومون بعبودية الله وإخلاص الدين له ، ويقومون بحق رسله
وأوليائه على اختلاف منازلهم ومراتبهم . اهـ

قوله : الركوع.....

تعريف الركوع :

في اللغة الانحناء ، والركوع المجزئ من القائم هو أن ينحني حتى تبلغ كفاه ركبتيه
إذا كان وسط الخلقة ؛ أي : غير طويل اليدين أو قصيرهما ، وقدر ذلك من غير وسط

الخلقة ، والمجزئ من الركوع في حق الجالس مقابلة وجهه ما وراء ركبتيه من الأرض وهو ركن من أركان الصلاة ، وأنه لا تصح الصلاة لمن لا يقيم هذا الركن ، وعلى هذا قال - عليه السلام - : ((لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه من الركوع)

الدليل :

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ يَبْنِي ذَلِكَ ... » صحيح مسلم (١ / ٣٥٧)

مسألة : حكم أذكار الركوع في الصلاة ؟

اختلف أهل العلم والراجح أنها واجب من واجبات الصلاة . وعلى هذا جمع من أهل العلم .

الملخص الفقهي وكتب أخرى (٢٢ / ٣)

مسألة : ما حكم الركوع لغير الله ؟

الجواب : قال أهل العلماء :

✽ ما جرت به العادة من خفض الرأس والانحناء إلى حدٍّ لا يصل به إلى أقلِّ الركوع عند اللقاء : لا كفر به ولا حرمة كذلك ، لكن ينبغي كراهته لقوله صلى الله عليه

وسلم : لمن قال له : { يا رسول الله ، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له ؟
قال : لا ، قال : أفيلتزمه ويقبله ؟ قال : لا ، قال : أفيأخذ بيده ويصافحه ؟
قال : نعم } . الحديث .

❖ أما إذا انحنى ووصل انحناءه إلى حد الركوع :

فقد ذهب بعض العلماء إلى أنه إن لم يقصد تعظيم ذلك الغير كتعظيم الله لم يكن كفراً ولا حراماً ، ولكن يكره أشد الكراهة لأن صورته تقع في العادة للمخلوق كثيراً .
وذهب بعضهم إلى حرمة ذلك ولو لم يكن لتعظيم ذلك المخلوق ، لأن صورة هيئة
الركوع لم تعهد إلا لعبادة الله سبحانه . بل هو من البدع المحرمة الانحناء عند اللقاء
بهية الركوع ،

❖ أما إذا وصل انحناءه للمخلوق إلى حد الركوع قاصداً به تعظيم ذلك المخلوق كما
يعظم الله سبحانه وتعالى ،

فلا شك أن صاحبه يرتد عن الإسلام ويكون كافراً بذلك ، كما لو سجد لذلك
المخلوق . راجع فقه العبادات (/ ٤)

قوله : والسجود.....

تعريف السجود :

هو وضع الجبهة على الأرض ، ويكون على الأعضاء السبعة ، في كل ركعة مرتين ؛ لقوله تعالى : **وَاسْجُدُوا** وللأحاديث الواردة من أمر النبي صلى الله عليه وسلم به ، وفعله له ، وقوله : **صلوا كما رأيتموني أصلي** فالأعضاء السبعة هي : الجبهة ، والأنف ، واليدان ، والركبتان ، وأطراف القدمين ؛ فلا بد أن يباشر كل واحد من هذه الأعضاء موضع السجود وحسب الإمكان ، والسجود أعظم أركان الصلاة ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ؛ فأفضل الأحوال حال يكون العبد فيها أقرب إلى الله ، وهو السجود . اهـ

وهو ركن من أركان الصلاة

- وذلك بأن يكبر ويخر ساجداً ولا يرفع يديه والدليل على ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((كان النبي ﷺ يكبر ويهوي ساجداً)) متفق عليه .

وقال الشيخ ابن عثيمين في الشرح الممتع (١ / ٥٧٠) :

رفع اليدين عند السجود ليس بسنة .

مسألة : ما حكم السجود لغير الله ؟

أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ : عَلَى أَنَّ السَّجُودَ لِلصَّنَمِ أَوْ لِلشَّمْسِ أَوْ نَحْوَهُمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ كُفْرٌ يُخْرِجُ السَّاجِدَ بِهِ عَنِ الْمِلَّةِ إِذَا كَانَ عَاقِلًا بَالِغًا مُخْتَارًا ، سِوَاهُ كَانَ عَامِدًا أَوْ هَازِلًا .

قال الشيخ ابن باز في " مجموع فتاوى ابن باز " (٢٨ / ١٤٦) :

الكفر العملي يخرج من الملة : مثل السجود لغير الله ، والذبح لغير الله ، هذا كفر عملي يخرج من الملة ، الذي يذبح للأصنام أو إلى الكواكب ، أو إلى الجن كفر عملي أكبر ، وهكذا لو صلى لهم أو سجد لهم ، يكفر كفراً عملياً أكبر ، وهكذا لو سب الدين أو سب الرسول ، أو استهزأ بالله أو بالرسول هذا كفر عملي أكبر ، عند جميع أهل السنة والجماعة . اهـ

قال الشيخ العثيمين في لقاء الباب المفتوح :

أسباب الكفر متعددة، منها:

أن يعتقد جواز السجود لغير الله وإن لم يسجد فهو كافر. اهـ

❖ وصرح الشافعية بأنه إن لم يسجد للصنم أو للشمس على سبيل التعظيم واعتقاد الألوهية ، بل سجد لها وقلبه مطمئن بالإيمان يجري عليه حكم الكفار في الظاهر ،

ولا يحكم بكفره فيما بينه وبين الله ، وإن دلت قرينة قويّة على عدم دلالة الفعل على الاستخفاف ، كسجود أسير في دار الحرب بحضرة كافر خشيةً منه فلا يكفر .

كما أجمعوا : على أنّ السّجود لغير صنم نحوه ، كأحد الجبابرة أو المملوك أو أيّ مخلوق آخر هو من المحرّمات وكبيرة من كبائر الذّنوب ،

❦ فإن أراد السّاجد بسجوده عبادة ذلك المخلوق كفر وخرج عن الملة بإجماع العلماء ،

❦ وإن لم يرد بها عبادة فقد اختلف الفقهاء فقال بعض الحنفيّة : يكفر مطلقاً سواء كانت له إرادة أو لم تكن له إرادة ، وقال آخرون منهم : إذا أراد بها التّحيّة لم يكفر بها ، وإن لم تكن له إرادة كفر عند أكثر أهل العلم .

قوله: والخشوع.....

تعريف الخشوع :

لغة : ذكرت كتب اللغة أنّ الخشوع هو الخضوع، يقال خشع يخشع خشوعاً، واختشع وتخشّع: رمى ببصره نحو الأرض، وغضّه وخفض صوته، والتّخشّع لله: الإخبات والتّذلل. تيسير الوصول إلى الثلاثة الأصول (ص: ٧١)

اصطلاحاً :

والخشوع هو: الذل لعظمة الله، ويكون في القلب والجوارح، وهو قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن .

قال شيخ الإسلام رحمه الله :

" والخشوع: الخضوع لله تعالى، والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح " .
وقال ابن القيم رحمه الله : " الخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح وهي تظهره " وكلما خشع القلب لله، كان أكمل له عبودية ،...ومن فضل الله على عباده، أنّ من رغب وطمع فيما عند الله أُجِر، ومن رهب من عذاب الله أمّنه الله ، ومن خشع قلبه وجوارحه لله عاش حميداً عزيزاً في الحياة، ولم يخضع لأحد من الخلق .

*قال ابن القيم - رحمه الله-:

والحقّ أنّ الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذلّ والانكسار.

مدارج السالكين لابن القيم (١ / ٥٥٨ - ٥٥٩) بتصرف، وفتح الباري (٢ / ٢٦٤).

فائدة: من معاني كلمة الخشوع في القرآن:

ذكر بعض المفسرين أنّ الخشوع في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: بمعنى بمعنى الذلّ.

ومنه قوله تعالى في طه: (خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ) (آية / ١٠٨). أي: ذلت

والثاني: بمعنى سكون الجوارح.

ومنه قوله تعالى في المؤمنين: (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون / ٢).

وقال ابن عباس في تفسيرها: 'أي خائفون ساكنون' وبه قال طائفة من السلف

كمجاهد، والحسن، وقتادة، والزهري، وإبراهيم النخعي .

وجاء عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: 'يعني متواضعين، فهو ساكن الجوارح،

منكسر القلب لا يرفع بصره، ولا ينظر عن يمينه ولا عن شماله .

والثالث: بمعنى الخوف.

ومنه قوله تعالى في الأنبياء: (وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) (آية / ٩٠).

قال الحسن: 'هو الخوف الدائم في القلب' .

والرابع: بمعنى التواضع.

ومنه قوله تعالى في البقرة: (وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ) (آية / ٤٥).

قال مجاهد: 'هو الخشوع والتواضع'.

والخامس: بمعنى اليبس والجمود،

وذلك كما في قوله تعالى: (وَتَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً) (فصلت / ٣٩) يعني: هامة

يابسة لا نبات فيها. انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي (٢٧٦)

مسألة الفرق بين الخوف والخشية والخضوع؟

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله :

(الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن خوفه مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهره وباطنه فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع

الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة).
"تفسير ابن سعدي" : (٥ / ٣٣٢).

فائدة: أنواع الخشوع:

١/ خشوع حقيقي.

٢/ خشوع نفاق.

وقد فرق ابن القيم رحمه الله بين خشوع النفاق، وخشوع الإيمان في كتابه: [الروح ص ٢٣٢] فقال عن خشوع الإيمان بأنه: خشوع القلوب لله بالتعظيم والإجلال، والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل، والحب والحياء، وشهود نعم الله، وجنایاته هو، فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح، وأما خشوع النفاق: فيبدو على الجوارح تصنعاً وتكلفاً، والقلب غير خاشع.

متى يكون الخشوع عبادة ؟

إذا وقف أمام الله ساكناً هادئاً في الجوارح فإنه هذا يسمى خشوعاً ولذا فالمصلي خاشع في الهيئة ، فإنه يقف في الصلاة مطأطئ الرأس ينظر إلى مكان سجوده وهذا

خشوع وإذا مشى إلى الصلاة مشى بهدوء وغض للصوت والنظر وهذا خشوع في المشي إلى الصلاة .

متى يكون الخشوع شركاً ؟

كأن يقف أمام قبر أو من يعتقد فيه الولاية هادئ الحركات ساكن الجوارح تعبدًا أو تقريبًا له فهذا خشوع وإن لم يطلب منه شيئاً ، وهو من الشرك الأكبر ، ولذا نجد عباد القبور عند قبورهم هادئين ساكنين ؛ ومثله المريد والصوفي أمام شيخه تجده هادئاً مطأطئ الرأس ساكن الجوارح مع ما في قلبه من خشوع ، وهذه عبادة خشوع ، وهذا من الشرك الأكبر ، الدليل { وكانوا لنا خاشعين } . فالأصل في الخشوع عمل بالقلب وتدل عليه الجوارح .

❖ مما يورث الخشوع هو تدبر القرآن :

يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : عجبت لمن يقرأ القرآن ولا يعرف معانيه كيف يتلذذ بقراءته ؟ .

فمعرفة معاني القرآن تجعل القلب يستغرق في تدبره والتفكير في معانيه ، حتى أن القلب يخشع عند ذلك ، بل لربما خشع الإنسان عند تسميع القرآن ، يسمع لغيره قد

لا يتحمل، وكان أبو بكر رضي الله عنه قريب الدمعة، كثير البكاء، لا يتمالك نفسه إذا صلى، ولذلك لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم وأمر أن يصلى أبو بكر بالناس اعتذرت عنه عائشة رضي الله عنها بأنه رجل رقيق لا يتمالك إذا صلى وقرأ القرآن فإنه يبكي.

متى يكون الخشوع عبادة ؟

إذا وقف أمام الله ساكناً هادئاً في الجوارح فإنه هذا يسمى خشوعاً ولذا فالمصلي خاشع في الهيئة ، فإنه يقف في الصلاة مطأطئ الرأس ينظر إلى مكان سجوده وهذا خشوع وإذا مشى إلى الصلاة مشى بهدوء وغض للصوت والنظر وهذا خشوع في المشي إلى الصلاة .

متى يكون الخشوع شركاً ؟

كأن يقف أمام قبر أو من يعتقد فيه الولاية هادئ الحركات ساكن الجوارح تعبدًا أو تقريباً له فهذا خشوع وإن لم يطلب منه شيئاً ، وهو من الشرك الأكبر، ولذا نجد عباد القبور عند قبورهم هادئين ساكنين ؛ ومثله المريد والصوفي أمام شيخه تجده هادئاً مطأطئ الرأس ساكن الجوارح مع ما في قلبه من خشوع ، وهذه عبادة خشوع ،

وهذا من الشرك الأكبر ، الدليل { وكانوا لنا خاشعين } . فالأصل في الخشوع عمل بالقلب وتدل عليه الجوارح .

سئلت اللجنة الدائمة :

ما حكم الخشوع في الصلاة وكيف أرد على من يقول : إن الخشوع في الصلاة سنة وليس بواجب ؟

ج ٤ : الخشوع خشوعان : واجب ومستحب ، فالواجب هو : الطمأنينة في جميع أعمال الصلاة حتى يؤديها كاملة ، وهو المراد في قوله تعالى : { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } { الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } ، وهو المراد في حديث المسيء في صلاته . والمستحب هو : العناية بإكمال الصلاة وأداء ما يستحب فيها من أفعال وأقوال . وبالله التوفيق ، فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الثانية (٥ / ٤٠٣)

قوله: والتذلل

قال ابن فارس رحمه الله في "مقاييس اللغة":

ذَلَّ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدُلُّ عَلَى الْخُضُوعِ، وَالِاسْتِكَانَةِ، وَاللِّينِ. فَالذُّلُّ: ضِدُّ الْعِزِّ.

قال شيخ الإسلام في "أمراض القلوب وشفائها (ص: ٤٤):

وَالْعِبَادَةُ هِيَ الْعَايَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ لَهَا الْعِبَادَ مِنْ جِهَةٍ أَمَرَ اللَّهُ وَمَحَبَّتِهِ وَرِضَاهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وَبِهَا أُرْسِلَ الرُّسُلُ وَأَنْزَلَ الْكُتُبُ وَهِيَ اسْمٌ يَجْمَعُ كَمَالَ الذَّلِّ وَنَهَايَتَهُ وَكَمَالَ الْحُبِّ لِلَّهِ وَنَهَايَتَهُ فَالْحُبُّ الْخَلِيُّ عَنْ ذَلٍّ وَالذَّلُّ

الخلي عن حب لا يكون عبادة وإنَّما العبادة ما يجمع كمال الأمرين ولهذا كانت العبادة لا تصلح إلا لله. اهـ

قال الشيخ سليمان آل الشيخ رحمته:

أصل العبادة التذلل والخضوع وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمون بها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى. اهـ

تيسير العزيز الحميد (ص: ٣١)

والتذلل للمخلوق تذلاً لا يكون إلا لله عز وجل من الشرك الأكبر وذلك إذا اقترن بهذا الذل الرغبة والرغبة واعتقاد الضر والنفع .

الفرق بين التذلل والتواضع:

أن التذلل إظهار العجز عن مقاومة من يتذلل له.

والتواضع إظهار قدرة من يتواضع له سواء كان ذا قدرة على المتواضع أو لا ألا ترى أنه يقال العبد متواضع لخدمة أي يعاملهم معاملة من لهم عليه قدرة ولا يقال يتذلل لهم لأن التذلل إظهار العجز عن مقاومة المتذلل له وإنه قاهر وليست هذه صفة الملك مع خدمه.

الفروق اللغوية (ص: ١٢٢)

قوله: التعظيم.....

تعريف التعظيم لغة :

التبجيل ، والعظيم من أسماء الله وله صفة العظمة.

قال الإمام السعدي :الله تعالى عظيم له كل وصف ومعنى يوجب التعظيم فلا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصى ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يتثنى عليه عباده.

واعلم أن معاني التعظيم الثابتة لله وحده نوعان:

أحدهما: أنه موصوف بكل صفة كمال، وله من ذلك الكمال أكمله، وأعظمه وأوسع، فله العلم المحيط، والقدرة النافذة.

النوع الثاني: من معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظم كما يعظم الله، فيستحق جل جلاله من عباده أن يعظموه بقلوبهم، وألسنتهم، وجوارحهم وذلك ببذل الجهد في معرفته، ومحبته، والذل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه وإعمال اللسان بالثناء عليه، وقيام الجوارح بشكره وعبوديته، ومن تعظيمه أن يتقى حق تقاته فيطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر،

ومن تعظيمه تعظيم ما حرمه وشرعه من زمان ومكان وأعمال .

الدليل: { وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ } ، و { وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ } ، ومن تعظيمه أن لا يعترض على شيء مما خلقه أو شرعه. اهـ راجع تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي (ص: ٢١٦).

أسباب ضعف تعظيم الرب؟

*المعاصي تُضعِفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ:

قال ابن القيم رحمه الله: وَمِنْ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: أَنَّهَا تُضْعِفُ فِي الْقَلْبِ تَعْظِيمَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ، وَتُضْعِفُ وَقَارَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ وَلَا بُدَّ، شَاءَ أَمْ أَبِي، وَلَوْ تَمَكَّنَ وَقَارُ اللَّهِ وَعَظَمَتُهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ لَمَا تَجَرَّأَ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَرَبَّمَا اغْتَرَّ الْمُغْتَرُّ، وَقَالَ: إِنَّمَا يَحْمِلُنِي عَلَى الْمَعَاصِي حُسْنُ الرَّجَاءِ، وَطَمَعِي فِي عَفْوِهِ، لَا ضَعْفُ عَظَمَتِهِ فِي قَلْبِي، وَهَذَا مِنْ مُعَالَطَةِ النَّفْسِ؛

فَإِنَّ عَظَمَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَجَلَالَهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ تَقْتَضِي تَعْظِيمَ حُرْمَاتِهِ، وَتَعْظِيمَ حُرْمَاتِهِ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذُّنُوبِ، وَالْمُتَجَرِّثُونَ عَلَى مَعَاصِيهِ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، وَكَيْفَ يَقْدِرُهُ - حَقَّ قَدْرِهِ، أَوْ يُعَظِّمُهُ وَيُكَبِّرُهُ، وَيَرْجُو وَقَارَهُ وَيُحِلُّهُ، مَنْ يَهُونُ عَلَيْهِ أَمْرُهُ وَنَبِيْهِ؟ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْمَحَالِ، وَأَبْيَنُ الْبَاطِلِ، وَكَفَى بِالْعَاصِي عُقُوبَةً أَنْ يَضْمَحِلَّ مِنْ قَلْبِهِ تَعْظِيمُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ،

وَتَعْظِيمُ حُرْمَاتِهِ، وَيَهُونُ عَلَيْهِ حَقُّهُ. اهـ. الجواب الكافي (ص: ٦٩)

فائدة :

*وأما تعظيم المخلوق فإنه ينقسم إلى قسمين تعظيم ممنوع - وتعظيم مشروع :

١- التعظيم الممنوع ينقسم إلى قسمين :

١/ شرك وكفر أكبر : وهو تعظيم المخلوق كتعظيم الله أو أشد وقد تقدم قول شيخ الإسلام ابن تيمية : (إن من أثبت لغير الله ما لا يكون إلا لله فقد كفر) .

٢/ معصية : وهو أن يعظم المخلوق فوق المنزلة التي أنزله الله إياها لكن لا يصل هذا التعظيم إلى مساواته بتعظيم الله أو أشد ، وهذا النوع يعتبر من الغلو المنهي وقد قال رسول الله ﷺ : ((أياكم والغلو في الدين ، فإنها هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)) رواه أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما الصحيحة رقم : (١٢٨٣) .

٢- تعظيم مشروع : وهو تبجيل المخلوق وتوقيره بما يوافق شرع الله كتعظيم وتوقير ومحبة الأنبياء والوالدين والعلماء فإن هذا مما أمر به الشرع وحث عليه ومن الأدلة على ذلك ماروا الشيخان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) رواه البخاري ومسلم

❖ وروى الإمام أحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله ﷺ : ((ليس منا من لم يجل كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه))

راجع صحيح الجامع حديث رقم (٥٤٤٣) ، وهو في الصحيح المسند (٧٨٣) عن عبدالله بن عمرو .

قوله : ودليل الدعاء ، قوله تعالى : {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}

[الجن : ١٨]

وقوله تعالى : {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}

[الرعد: ١٤].....

قوله : ودليل الدعاء، قوله تعالى : وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا {
قال شيخ الإسلام في "مجموع الفتاوى (١ / ٦٩) :

الدُّعَاءُ لِلَّهِ وَحْدَهُ سِوَاءَ كَانَ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ أَوْ دُعَاءَ الْمُسَآلَةِ وَالِاسْتِعَانَةِ كَمَا قَالَ تَعَالَى :
{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا} {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} وَقَالَ تَعَالَى : {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} وَقَالَ : {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ}
وَقَالَ : {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} . وَذَمَّ الَّذِينَ
يَدْعُونَ الْمَلَائِكَةَ وَالْأَنْبِيَاءَ وَغَيْرَهُمْ فَقَالَ : {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا
يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ
أَتَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مُحْذُورًا} . اهـ

وقوله تعالى : {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا
كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ}
قال ابن كثير رحمه الله :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} قال: التوحيد، رواه ابن جرير. وقال ابن عباس وقتادة ومالك عن محمد بن المنكدر {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ} لا إله إلا الله {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} الآية، أي ومثل الذين يعبدون آلهة غير الله {كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ} قال علي بن أبي طالب: كمثل الذي يتناول الماء من طرف البئر بيده وهو لا يناله أبداً بيده، فكيف يبلغ فاه ؟ وقال مجاهد {كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ} يدعو الماء بلسانه ويشير إليه فلا يأتيه أبداً، وقيل: المراد كقابض يده على الماء، فإنه لا يحكم منه على شيء،

ومعنى هذا الكلام أن الذي يبسط يده إلى الماء إما قابضاً وإما متناولاً له من بعد كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه الذي جعله محلاً للشرب، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا ولا في الآخرة، ولهذا قال {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} . اهـ

قال الشيخ ابن باز رحمه الله في "إقامة البراهين على حكم من استغاث بغير الله أو صدق الكهنة والعرافين (ص: ١٠)" :

{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [غافر: ١٤]

وقال عز وجل: {وَأَنَّ الْمُسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: ١٨] وهذا يعم جميع المخلوقات من الأنبياء وغيرهم، لأن (أحدا) نكرة في سياق النهي فتعم كل من سوى الله سبحانه. وقال تعالى: {وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ} وهذا خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ومعلوم أن الله سبحانه قد عصمه من الشرك وإنما المراد من ذلك تحذير غيره، ثم قال عز وجل: {فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [يونس: ١٠٦] فإذا كان سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله يكون من الظالمين فكيف بغيره؟

والظلم إذا أطلق يراد به الشرك الأكبر كما قال سبحانه: {وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: ٢٥٤] وقال تعالى: {إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: ١٣] فعلم بهذه الآيات وغيرها أن دعاء غير الله من الأموات والأشجار والأصنام وغيرها شرك بالله عز وجل ينافي العبادة التي خلق الله الثقلين من أجلها وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيانها والدعوة إليها. اهـ

ودليل الاستعانة: قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥].....

قوله : ودليل الاستعانة: قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: ٥]

قال ابن كثير رحمته:

قُدِّمَ الْمُفْعُولُ وَهُوَ إِيَّاكَ وَكُرِّرَ لِلاَهْتِمَامِ وَالْحَضَرِ أَيْ لَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاكَ وَلَا نَتَوَكَّلُ إِلَّا عَلَيْكَ وَهَذَا هُوَ كِمَالُ الطَّاعَةِ، وَالِدِينُ كُلُّهُ يَرْجِعُ إِلَى هَذَيْنِ الْمُعْنَيْنِ، وَهَذَا كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: الْفَاتِحَةُ سِرُّ الْقُرْآنِ، وَسِرُّهَا هَذِهِ الْكَلِمَةُ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فَالْأَوَّلُ تَبَرُّؤُكَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالثَّانِي تَبَرُّؤُكَ مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ وَالتَّفْوِيضِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الْمُعْنَى فِي غَيْرِ آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ. اهـ

قال الإمام الشنقيطي رحمته في " أضواء البيان " (١ / ٧):

قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) أَيْ: لَا نَطْلُبُ الْعَوْنَ إِلَّا مِنْكَ وَحْدَكَ ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِكَ وَحْدَكَ لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْهُ مَعَكَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. وَإِتْيَانُهُ بِقَوْلِهِ: (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) بَعْدَ قَوْلِهِ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُتَوَكَّلَ إِلَّا عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ لَيْسَ بِيَدِهِ الْأَمْرُ. اهـ

قال ابن عثيمين رحمه الله في "تفسير سورة الفاتحة":

أي لا نستعين إلا بإياك على العبادة، وغيرها؛ و "الاستعانة" طلب العون؛ والله سبحانه وتعالى يجمع بين العبادة، والاستعانة، أو التوكل في مواطن عدة في القرآن الكريم؛ لأنه لا قيام بالعبادة على الوجه الأكمل إلا بمعونة الله، والتفويض إليه، والتوكل عليه. اهـ

ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ {

[الأنفال: ٩].....

قوله: ودليل الاستغاثة، قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ {

قال الإمام الشنقيطي في "أضواء البيان" (٧ / ٤١٠):

أَتْنَى اللَّهِ - جَلَّ وَعَلَا - عَلَى نَبِيِّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَصْحَابِهِ بِالتَّجَائِهِمْ إِلَيْهِ
وَقَتَّ الْكَرْبِ يَوْمَ بَدْرٍ فِي قَوْلِهِ: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} [٨ \ ٩] ، فَنَبَّيْنَا -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ إِذَا أَصَابَهُمْ أَمْرٌ أَوْ كَرُبَّ التَّجُّوْا إِلَى اللَّهِ
وَأَخْلَصُوا لَهُ الدُّعَاءَ، فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ وَلَا نَبْتَدِعَ. اهـ

قال ابن عثيمين في "شرح الأصول الثلاثة":

الإستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل
وأتباعهم ، ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله { إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني
مدكم بألف من الملائكة مردفين {

وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف
رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً
يديهِ مستقبل القبلة يقول : " اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة
الإسلام لا تعبد في الأرض "

وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتممه من ورائه ، وقال : يا نبي الله كفأك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية. اهـ

ودليل الذبح، قوله تعالى : {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }
[الأنعام: ١٦٢]

قوله: ودليل الذبح، قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين). الآية.

قال ابن كثير رحمه الله:

أي أخلص له صلاتك وذبحك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويدبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى، قال مجاهد في قوله: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي} النسك الذبح في الحج والعمرة، وقال الثوري عن السدي عن سعيد بن جبير {وَنُسُكِي} قال ذبحي، وكذا قال السدي والضحاك.

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

قوله: (قل): الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي قل لهؤلاء المشركين معلنا لهم قيامك بالتوحيد الخالص، لأن هذه السورة مكية.

قوله: " إن صلاتي ": الصلاة في اللغة: الدعاء، وفي الشرع: عبادة الله ذات أقوال وأفعال معلومة، مفتوحة بالتكبير، مختمة بالتسليم.

قوله: (ونسكي):

النسك لغة: العبادة، وفي الشرع: ذبح القربان.

فيحمل النسك في الآية على المعنى الشرعي.

وقيل: تحمل على المعنى اللغوي، لأنه أعم، فالنسك العبادة، كأنه يقول: أنا لا أدعو إلا الله، ولا أعبد إلا الله، وهذا عام للدعاء والتعبد.

وإذا حملت على المعنى الشرعي، صارت خاصة في نوع من العبادات، وهي: الصلاة، والنسك، ويكون هذا كمثال، فإن الصلاة أعلى العبادات البدنية، والذبح أعلى العبادات المالية، لأنه على سبيل التعظيم لا يقع إلا قربة، هكذا قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة.

ويحتاج إلى مناقشة في مسألة أن القربان أعلى أنواع العبادات المالية، فإن الزكاة لا شك أنها أعظم، وهي عبادة مالية.

وهناك رأي ثالث يقول: إن الصلاة هي الصلاة المعروفة شرعا، والنسك: العبادة مطلقا، ويكون ذلك من عطف العام على الخاص.

قوله: "وحياتي ومماتي":

أي: حياتي وموتي، أي: التصرف في وتدبير أمري حيا وميتا لله. وفي قوله: "صلاتي ونسكي" إثبات توحيد العبادة.

القول المفيد على كتاب التوحيد (١ / ٢١٥)

ودليل النذر، قوله تعالى: { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } [الإنسان: ٧]

قال ابن كثير (٨ / ٢٨٧)

وقوله: { يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } أي: يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من [فعل] الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبه على أنفسهم بطريق النذر.

عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"، رواه البخاري .

{ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا } ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ الله.

قال ابن عباس رحمهما الله:

فأشياء. وقال قتادة: استطار - والله - شر ذلك اليوم حتى مَلَأَ السماوات والأرض.

ودليل الخوف، قوله تعالى : { إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا }
 إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ { [آل عمران: ١٧٥]

قال الشيخ العثيمين رحمه الله :

ومعنى يخوفكم ، أي : يوقع الخوف في قلوبكم منهم ، { أوليائه } ؛ أي : أنصاره
 الذين ينصرون الفحشاء والمنكر ؛ لأن الشيطان يأمر بذلك ؛ فكل من نصر الفحشاء
 والمنكر ؛ فهو من أولياء الشيطان ؛ ثم قد يكون النصر في الشرك وما ينافي التوحيد ،
 فيكون عظيماً وقد يكون دون ذلك .

وقوله : { يخوف أوليائه } .

من ذلك ما وقع في الآية التي قبلها ، حيث قالوا : { إن الناس قد جمعوا لكم
 فاخشوهم } [آل عمران : ١٧٣] ، وذلك ليصدهم عن واجب من واجبات الدين ،
 وهو الجهاد ، فيخوفونهم بذلك ، وكذلك ما يحصل في نفس من أراد أن يأمر

بالمعروف أو ينهى عن المنكر ، فيخوفه الشيطان ليصده عن هذا العمل ، وكذلك ما يقع في قلب الداعية .

والحاصل :

أن الشيطان يخوف كل من أراد أن يقوم بواجب ، فإذا ألقى الشيطان في نفسك الخوف ؛ فالواجب عليك أن تعلم أن الإقدام على كلمة الحق ليس هو الذي يدني

الإجل ، وليس السكوت والجبن هو الذي يبعد الأجل ؛ فكم من داعية صدع بالحق وما على فراشه ؟ ! وكم من جبان قتل في بيته ؟ !

وانظر إلى خالد بن الوليد ، كان شجاعاً مقداماً ومات على فراشه ، وما دام الإنسان قائماً بأمر الله ؛ فليثق بأن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وحزب الله هم الغالبون .

قوله : { فلا تخافوهم } . لا ناهية ، والهاء ضمير يعود على أولياء الشيطان ، وهذا النهي للتحريم بلا شك ؛ أي : بل أمضوا فيما أمرتكم به وفيما أوجبت عليكم من الجهاد ، ولا تخافوا هؤلاء ، وإذا كان الله مع الإنسان ، فإنه لا يغلبه أحد ، لكن نحتاج في الحقيقة إلى صدق النية والإخلاص والتوكل التام ،

ولهذا قال تعالى : { إن كنتم مؤمنين } ، وعلم من هذه الآية أن للشيطان وساوس يلقيها في قلب ابن آدم منها التخويف من أعدائه ، وهذا ما وقع فيه كثير من الناس ، وهو الخوف من أعداء الله فكانوا فريسة لهم ، وإلا لو اتكلوا على الله وخافوه قبل كل

شيء لخافهم الناس ، ولهذا قيل في المثل : مَنْ خاف الله خافه كل شيء ، ومن اتقى الله أتقاه كل شيء ، ومن خاف من غير الله خاف من كل شيء .
 ويفهم من الآية أن الخوف من الشيطان وأوليائه مناف للإيمان ، فإن كان الخوف يؤدي إلى الشرك ، فهو مناف لأصله ، وإلا ، فهو مناف لكمالهِ .

ودليل الرجاء، قوله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].....

قال الشيخ العثيمين رحمه الله:

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ}، المراد بالرجاء: الطلب والأمل؛ أي: من كان يؤمل أن يلقى ربه، والمراد باللقيا هنا الملاقاة الخاصة؛ لأن اللقيا على نوعين:
 الأول: عامة لكل إنسان، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ}؛ [الانشقاق: ٦]، ولذلك قال مفرعا على ذلك: {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُجَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}، {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ}.

الثاني: الخاصة بالمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم كما في هذه وتتضمن رؤيته تبارك وتعالى، كما ذكر ذلك بعض أهل العلم.

فَقَوْلُهُ: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا}: الفاء رابطة لجواب الشرط، والأمر للإرشاد؛ أي: من كان يريد أن يلقي الله على الوجه الذي يرضاه سبحانه؛ فليعمل عملاً صالحاً. والعمل الصالح: ما كان خالصاً صواباً، وهذا وجه الشاهد من الآية. فالخالص: ما قصد به وجه الله، والدليل على ذلك قوله: (إنما الأعمال بالنيات). والصواب: ما كان على شريعة الله، والدليل على ذلك قوله ﷺ: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا؛ فهو رد).

ولهذا قال العلماء: هذان الحديشان ميزان الأعمال؛

فالأول: ميزان الأعمال الباطنة.

والثاني: ميزان الأعمال الظاهرة.

قوله: "وَلَا يُشْرِكْ": لا: ناهية، والمراد بالنهاي الإرشاد.

قوله: "بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا": خص العبادة لأنها خالص حق الله، ولذلك أتى بكلمة "رب" إشارة إلى العلة، فكما أن ربك خلقتك ولا يشاركه أحد في خلقتك؛ فيجب أن تكون العبادة له وحده، ولذلك لم يقل: (لا يشرك بعبادة الله)، فذكر الرب من باب التعليل؛ كقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ}،

راجع القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٢٨)

ودليل التوكل، قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣]...

قوله: ودليل التوكل، قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٢٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (٨ / ١٦٤):

التَّوَكَّلُ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} وَقَالَ: {وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ}. اهـ.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين" (ص: ٣٨٦):

التوكل مركب السائر - إلى الله - الذي لا يتأتى له السير إلا به ومتى نزل عنه انقطع لوقته، وهو من لوازم الإيمان ومقتضياته قال الله تعالى: (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) فجعل التوكل شرطاً في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكل،

وفي الآية الأخرى وقال موسى يا قوم إن كنتم ءامتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وقال تعالى: (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فذكر اسم الإيمان ههنا دون سائر أسمائهم دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولا بد. اهـ

ودليل الإنابة، قوله تعالى : {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ} [الزمر: ٥٤].....

قوله : ودليل الإنابة، قوله تعالى : {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ.} الآية.

قال ابن كثير رحمته:

استحث [سبحانه] وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة، فقال: { وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ } أي: ارجعوا إلى الله واستسلموا له، { مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ } أي: بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النعمة. اهـ

قال الإمام السعدي رحمته:

أمر تعالى بالإنباء إليه، والمبادرة إليها فقال: { وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ } بقلوبكم { وَأَسْلِمُوا لَهُ } بجوارحكم، إذا أفردت الإنابة، دخلت فيها أعمال الجوارح، وإذا جمع بينهما، كما في هذا الموضع، كان المعنى ما ذكرنا. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في "طريق الهجرتين" (ص: ٢٧٢):

كثيرا ما يتكرر في القرآن ذكر الإنابة والأمر بها كقوله تعالى: (وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ) وقوله حكاية عن شعيب أنه قال: (وما توفيتني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) وقوله: (تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) وقوله: (إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) وقوله عن نبيه داود: (وخر راکعا وأناب)

والإنابة:

الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجواذبه إليه وهي تتضمن المحبة والخشية فإن المنيب محب لمن أناب إليه خاضع له خاشع ذليل.

والناس في إنابتهم على درجات متفاوتة :

- فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي وهذه الإنابة مصدرها مطالعة الوعيد والحامل عليها العلم والخشية والحذر.

- ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات فهو ساع فيها بجهد وقدر حبيب إليه فعل الطاعات وأنواع القربات وهذه الإنابة مصدرها الرجاء ومطالعة

الوعد والثواب ومحبة الكرامة من الله . وهؤلاء أبسط نفوسا من أهل القسم الأول وأشرح صدورا وجانب الرجاء ومطالعة الرحمة والمنة أغلب عليهم .
 - ومنهم المتنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه ومصدر هذه الإنابة شهود الفضل والمنة والغنى والكرم والقدرة فأنزلوا به حوائجهم وعلقوا به آمالهم فإنابتهم إليه من هذه الجهة مع قيامهم بالأمر والنهي ولكن إنابتهم الخاصة إنما من هذه الجهة وأما الأعمال فلم يرزقوا فيها الإنابة الخاصة وأملهم المتنيب عند الشدائد والضراء فقط إنابة اضطرار لا إنابة اختيار كحال الذين قال الله في حقهم وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه . اهـ

ودليل المحبة، قوله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥]

قوله : ودليل المحبة، قوله تعالى : {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ} [البقرة: ١٦٥] .
 قال الإمام ابن كثير رحمه الله :

يذكر تعالى حال المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا له أنداداً أي أمثالاً ونظراء، يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه، وهو الله لا إله إلا هو، ولا ضد له، ولا ندّ له، ولا شريك معه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال "أن تجعل لله نداً وهو خلقك".

وقوله: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدَّ حُبًّا لِلَّهِ} ولحبهم لله وتماهم معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم، له، لا يشركون به شيئاً بل يعبدونه وحده، ويتوكلون عليه، ويلجأون في جميع أمورهم إليه. اهـ

قال شيخ الإسلام رحمته في "الرد على البكري" (٢ / ٦٦٩):

قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله و الذين آمنوا أشد حبا لله) فمن أحب مخلوقاً مثل ما يحب الخالق فهو مشرك.

و يجب الفرق بين الحب في الله، والحب مع الله.

فالأول: من تمام محبة الله تعالى وتوحيده، والثاني: شرك.

فالأول يكون الله تعالى هو المحبوب له بذاته و يجب ما يحبه الرب تعالى تبعا لمحبهه فيحب رسوله و كتابه و عباده المؤمنين كما في الصحيحين عن أنس رضي الله تعالى

عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال :ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان...

و أما الحب مع الله تعالى فهو الذي يحب محبوبا في قلبه لا لأجل الله تعالى كحب المشركين أندادهم. اهـ

قال العلامة العثيمين رحمته في "القول المفيد" (٢ / ٤٦):

قوله: "أندادا": جمع ند، وهو الشبيه والنظير.

قوله: "يحبونهم كحب الله": أي: في كيفيته ونوعه؛

فالنوع أن يحب غير الله محبة عبادة.

والكيفية:

أن يحبه كمحبة الله أو أشد، حتى إن بعضهم يعظم محبوبه، ويغار له أكثر مما يعظم الله

ويغار له، فلو قيل: احلف بالله؛ لحلف، وهو كاذب ولم يبال،

ولو قيل: احلف بالند؛ لم يحلف، وهو كاذب، وهذا شرك أكبر.

وقوله: "كحب الله": للمفسرين فيها قولان:

الأول: أنها على ظاهرها، وأنها مضافة إلى مفعولها؛ أي: يحبونهم كحبهم الله، والمعنى يحبون هذه الأنداد كمحبة الله، فيجعلونها شركاء لله في المحبة، لكن الذين آمنوا أشد حبا لله من هؤلاء لله، وهذا هو الصواب.

الثانية: أن المعنى كحب الله الصادر من المؤمنين: أي: كحب المؤمنين لله؛ فيحبون هذه الأنداد كما يحب المؤمنون الله، وهذا وإن احتمله اللفظ، لكن السياق يأباه؛ لأنه لو كان المعنى ذلك؛ لكان مناقضا لقوله تعالى فيما بعد: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، [البقرة: من الآية ١٦٥]، وكانت محبة المؤمنين لله أشد؛ لأنها محبة خالصة ليس فيها شرك؛ فمحبة المؤمنين أشد من حب هؤلاء لله.

فإن قيل: قد ينقدح في ذهن الإنسان أن المؤمنين يحبون هذه الأنداد؛ نظرا لقوله: {أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ}، فما الجواب؟
أجيب:

أن اللغة العربية يجري فيها التفضيل بين شيئين؛ وأحدهما خال منه تماما، ومنه قوله تعالى: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا}، [الفرقان: ٢٤]، مع أن مستقر أهل النار ليس فيه خير، وقال تعالى: {اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ}، [النمل: من الآية ٥٩]، والطرف الآخر ليس فيه شيء من هذه الموازنة، ولكنها من باب مخاطبة الخصم بحسب اعتقاده.

مناسبة الآية لباب المحبة:

منع الإنسان أن يحب أحدا كمحبة الله؛ لأن هذا من الشرك الأكبر، المخرج عن الملة، وهذا يوجد في بعض العباد، وبعض الخدم يحبون بعض القبور أو الأولياء كمحبة الله أو أشد، وكذلك بعض الخدم تجدهم يحبون هؤلاء الرؤساء أكثر مما يحبون الله، ويعظمونهم أكثر مما يعظمون الله،

فهذه الآية فيها محنة عظيمة، لكثير من قلوب المسلمين اليوم؛ الذين يجعلون غير الله مثل الله في المحبة، وفيه أناس أيضا أشركوا بالله في محبة غيره، لا على وجه العبادة الشرعية؛ لكن على وجه العبادة المذكورة. اهـ

ودليل الخشية، قوله تعالى : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ } [المائدة: ٤٤].....

قال الإمام ابن كثير رحمه الله:

أي لا تخافوا منهم وخافوا مني. اهـ

قال الإمام الشنقيطي رحمه الله في "أضواء البيان" (٢ / ٣٨٢):

أَيُّ : خَافُونَ وَحَدِي وَلَا تَخَافُوا سِوَايَ . وَهَذَا الْحَصْرُ الْمُشَارُّ إِلَيْهِ هُنَا بِتَقْدِيمِ الْمُعْمُولِ بَيْنَهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ ؛ كَقَوْلِهِ : { فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ } . اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (٢٧ / ٤٢٨):

قَدْ مَيَّزَ اللَّهُ بَيْنَ حَقِّهِ وَحَقِّ الرَّسُولِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ : { وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ } فَالطَّاعَةُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَالْخَشْيَةُ لِلَّهِ وَحَدَهُ وَالتَّقْوَى لِلَّهِ وَحَدَهُ لَا يُخْشَى مَخْلُوقٌ وَلَا يُتَّقَى مَخْلُوقٌ لَا مَلَكٌ وَلَا نَبِيٌّ وَلَا غَيْرُهُمَا . اهـ

وقال في "مجموع الفتاوى" (٢٨ / ٤٤٩):

لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه ولهذا اوجب الله على عباده ان لا يخافوا حزب الشيطان بل لا يخافون غيره تعالى فقال { إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنین } أي يخوفکم اولیاءه وقال لعموم بنی اسرائیل تنبیها لنا { وإیای فارهبون } ، وقال { فلا تخشوا الناس واخشون } . اهـ

ودليل الرغبة، والرغبة، قوله تعالى : (إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ) [الأنبياء: ٩٠]

← قال ابن كثير رحمه الله:

وقوله: { إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ } أي في عمل القربات وفعل الطاعات { وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } قال الثوري: رغباً فيما عندنا ورهباً مما عندنا { وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله، وقال مجاهد: مؤمنين حقاً. وقال أبو العالية: خائفين. وقال أبو سنان: الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبداً. وعن مجاهد أيضاً: خاشعين أي متواضعين. وقال الحسن وقتادة والضحاك: خاشعين أي متذللين لله عز وجل، وكل هذه الأقوال متقاربة. اهـ

قال الإمام السعدي رحمه الله:

ولما ذكر هؤلاء الأنبياء والمرسلين، كلا على انفراده، أثنى عليهم عموماً فقال: { إِنْهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ } أي: يبادرون إليها ويفعلونها في أوقاتها الفاضلة، ويكملونها على الوجه اللائق الذي ينبغي ولا يتركون فضيلة يقدرون عليها، إلا انتهزوا الفرصة فيها،

{ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا } أي: يسألوننا الأمور المرغوب فيها، من مصالح الدنيا والآخرة، ويتعوذون بنا من الأمور المرهوب منها، من مضار الدارين، وهم راغبون راهبون لا غافلون، لاهون ولا مدلون،
 { وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ } أي: خاضعين متذللين متضرعين، وهذا لكمال معرفتهم بربهم. اهـ

قال شيخ الإسلام رحمته في "مجموع الفتاوى" (٢٧ / ٤٢٩):

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مِمَّا يَأْمُرُهُمْ : { سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا الرَّغْبَةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى : { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ } { وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ } وَهَذَا لِأَنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَمْلِكُ لِلْمَخْلُوقِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا. اهـ

قال ابن القيم رحمته في "عدة الصابرين" (ص: ٨٩):

الدين كله رغبة ورهبة فالمؤمن هو الراغب الراهب قال تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وفي الدعاء عند النوم الذي رواه البخارى في صحيحه اللهم انى أسلمت نفسى اليك ووجهت وجهى اليك وفوضت امرى اليك وألجأت

ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك فلا تجد المؤمن أبدا الا راغبا وراهما والرغبة والرهبة
لا تقوم الا على ساق الصبر فرهبته تحمله على الصبر ورغبته تقوده إلى الشكر. اهـ

ودليل التأله، قوله تعالى : {وَالْهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة:
١٦٣].....

قوله: ودليل التأله، قوله تعالى : {وَالْهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٦٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "مجموع الفتاوى" (٢٨٣ / ١٠):

الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد. اهـ

قال ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن تفردة بالإلهية، أنه لا شريك له ولا عديل، له، بل هو الله الواحد الأحد

الفرد الصمد الذي لا إله إلا هو. اهـ

والإله هو الذي تأله القلوب بالحب والإجلال والتعظيم، ولذلك كان التأله لغير الله

شركا.

ودليل الركوع، والسجود، قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا
واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) [الحج: ٧٧].....

قال الإمام السعدي رحمه الله:

يأمر تعالى، عباده المؤمنين بالصلاة، وخص منها الركوع والسجود، لفضلهما
وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته
وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير
عموماً.

وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: { لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } أي: تفوزون
بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى
الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدر
المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح. اهـ

قال العلامة ابن القيم رحمته في " بدائع الفوائد " (١ / ٨٨):

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير)
ذكر أربعة أشياء أخصها الركوع ثم السجود أعم منه ثم العبادة أعم من السجود ثم
فعل الخير العام المتضمن لذلك كله. اهـ

ودليل الخشوع، قوله تعالى : {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [آل عمران: ١٩٩] ونحوها.....

قال الإمام ابن كثير رحمته:

يخبر تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بما أنزل
على محمد مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله أي مطيعون
له، خاضعون متذللون بين يديه، {لَا يَشْتَرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} ، أي لا يكتمون
ما بأيديهم من البشارات بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكر صفته ونعته ومبعثه
وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هوداً أو
نصارى. اهـ

قال العلامة السعدي رحمه الله: أي: وإن من أهل الكتاب طائفة موفقة للخير، يؤمنون بالله، ويؤمنون بما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وهذا الإيمان النافع لا كمن يؤمن ببعض الرسل والكتب، ويكفر ببعض.

ولهذا - لما كان إيمانهم عاما حقيقيا - صار نافعا، فأحدث لهم خشية الله، وخضوعهم لجلاله الموجب للانقياد لأوامره ونواهيه، والوقوف عند حدوده.

وهؤلاء أهل الكتاب والعلم على الحقيقة، كما قال تعالى: {إنما يخشى الله من عباده العلماء} اهـ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله في "الجواب الصحيح" (٢/ ٢٠٢):

قد ذكر أكثر العلماء أن هذه الآية الأخرى في آل عمران نزلت في النجاشي ونحوه ممن آمن بالنبي لكنه لم تمكنه الهجرة إليه. اهـ

قال ابن القيم رحمه الله في "اجتماع الجيوش الإسلامية" (ص: ٣١):

النجاشي الذي صلى عليه رسول الله فإنه كان ملك النصراني بالحبشة وكان في الباطن مؤمنا وقد قيل إنه وأمثاله الذين عناهم الله عز وجل بقوله وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا وقوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في

الخيرات وأولئك من الصالحين فإن هؤلاء ليس المراد بهم التمسك باليهودية والنصرانية بعد محمد قطعاً فإن هؤلاء قد شهد لهم بالكفر وأوجب لهم النار فلا يثنى عليهم بهذا الثناء وليس المراد به من آمن من أهل الكتاب ودخل في جملة المؤمنين وباين قومه فإن هؤلاء لا يطلق عليهم إنهم من أهل الكتاب إلا باعتبار ما كانوا عليه وذلك الاعتبار قد زال بالاسلام واستحدثوا اسم المسلمين والمؤمنين. اهـ

فمن صرف شيئاً من هذه الأنواع لغير الله، فقد أشرك بالله غيره .

فإن قيل : فما أجلُّ أمرٍ أمر الله به ؟

قيل : توحيده بالعبادة، وقد تقدم بيانه

التوحيد فهو في اللغة: مصدر وحَّد الشيء إذا جعله واحداً.

وفي الشرع: إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

١. توحيد الربوبية.

٢. توحيد الألوهية.

٣. توحيد الأسماء والصفات.

وقد اجتمعت في قوله تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: الآية ٦٥].

القسم الأول: توحيد الربوبية:

هو إفراد الله - عز وجل - بالخلق، والملك، والتدبير. فإفراده بالخلق: أن يعتقد الإنسان أنه لا خالق إلا الله.

قال تعالى: {أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف: من الآية ٥٤] فهذه الجملة تفيد الحصر لتقديم الخبر، إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر.

وقال تعالى: {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [فاطر: من الآية ٣] فهذه الآية تفيد اختصاص الخلق بالله لأن الاستفهام فيها مشرب معنى التحدي.

مسألة: أما ما ورد من إثبات خالق غير الله؛

كقوله تعالى: {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون: من الآية ١٤] وكقوله صلى الله عليه وسلم في المصورين يقال لهم: ((أحيوا ما خلقتكم)).؟

الجواب :

فهذا ليس خلقاً حقيقة، وليس إيجاداً بعد عدم، بل هو تحويل للشيء من حال إلى حال، وأيضاً ليس شاملاً، بل محصور بما يتمكن الإنسان منه، ومحصور بدائرة ضيقة؛ فلا ينافي قولنا: إفراد الله بالخلق.

القسم الثاني: توحيد الألوهية:

ويقال له: توحيد العبادة باعتبارين؛ فباعتبار إضافته إلى الله يسمى: توحيد الألوهية، وباعتبار إضافته إلى الخلق يسمى توحيد العبادة. وهو إفراد الله - عز وجل - بالعبادة. فالمستحق للعبادة هو الله تعالى، قال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ} [لقمان: من الآية ٣٠].

وهذا القسم كفر به وجحدته أكثر الخلق، ومن أجل ذلك أرسل الله الرسل، وأنزل عليهم الكتب، قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].

ومع هذا، فأتباع الرسل قلة، قال عليه الصلاة والسلام: "فرايت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد".

❖ تنبيه:

من العجب أن أكثر المصنفين في علم التوحيد من المتأخرين يركزون على توحيد الربوبية، وكأنها يخاطبون أقواما ينكرون وجود الرب - وإن كان يوجد من ينكر الرب - لكن ما أكثر المسلمين الواقعين في شرك العبادة!!
ولهذا ينبغي أن يركز على هذا النوع من التوحيد؛ حتى نخرج إليه هؤلاء المسلمين الذين يقولون بأنهم مسلمون، وهم مشركون ولا يعلمون.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

وهو الإيمان الكامل والتصديق الجازم بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

والتحريف:

هو التغير وإمالة الشيء عن وجهه.

وهو قسبان:

١ - تحريف لفظي.

وذلك بالزيادة في الكلمة أو النقص أو تغيير حركة في الكلمة

كتحريف كلمة استوى في قوله تعالى : { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى } (طه : ٥) إلى استوى . قال صاحب النونية :

نون اليهود ولام جهمي هما ... في وحي رب العرش زائدتان
٢ - تحريف معنوي .

وذلك بتفسير اللفظ على غير مراد الله ورسوله منه كمن فسر " اليد " لله تعالى بالقوة أو النعمة . فإن هذا تفسير باطل لا يدل عليه الشرع ولا اللغة والتعطيل :

هو نفي صفات الله تعالى كمن زعم أن الله تعالى لا يتصف بصفة .
والفرق بين التحريف والتعطيل هو أن التحريف نفي المعنى الصحيح الذي دلت عليه النصوص واستبداله بمعنى آخر غير صحيح .
أما التعطيل فهو نفي المعنى الصحيح من غير استبدال له بمعنى آخر .

والتكييف :

أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا من غير أن يقيد بها بمماثل ، وهذا اعتقاد باطل .

أي تعيين كيفية الصفة والهيئة التي تكون عليها كفعل بعض المنحرفين في هذا الباب الذين يكتفون صفات الله فيقولون كيفية يده : كذا وكذا ، وكيفية استوائه على هيئة كذا وكذا . فإن هذا باطل إذ لا يعلم كيفية صفات الله إلا هو وحده وأما المخلوقون فإنهم يجهلون ذلك ويعجزون عن إدراكه . المجلي شرح القواعد المثلي (١٦ / ٦) والتمثيل :

هو التشبيه كمن يقول لله سمع كسمعنا ووجهه كوجوهنا تعالى الله عن ذلك . وهذا القسم من التوحيد هو الذي ضلت فيه بعض الأمة الإسلامية، وانقسموا فيه إلى فرق كثيرة:

- فمنهم من سلك مسلك التعطيل، فعطل ونفى الصفات زاعماً أنه منزّه لله، وقد ضل؛ لأن المنزه حقيقة هو الذي ينفي عنه صفات النقص والعيب، وينزه كلامه من أن يكون تعمية وتضليلاً،

فإذا قال:

إن الله ليس له سمع، ولا بصر، ولا علم، ولا قدرة، لم ينزه الله، بل وصمه بأعيب العيوب، ووصم كلامه بالتعمية والتضليل؛ وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة في أغلب الصفات.

- ومنهم من سلك مسلك التمثيل، زاعماً بأنه محقق لما وصف الله به نفسه، وقد ضلوا؛ لأنهم لم يقدرُوا الله حق قدره، إذ وصموه بالعيب والنقص؛ لأنهم جعلوا الكامل من كل وجه كالناقص من كل وجه.

وإذا كان اقتران تفضيل الكامل على الناقص يحط من قدره؛ كما قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

فكيف بتمثيل الكامل بالناقص؟ !

هذا أعظم ما يكون جنائية في حق الله - عز وجل -، وإن كان المعطلون أعظم جرماً، لكن الكل لم يقدر الله حق قدره.

فالواجب:

أن نؤمن بما وصف الله وسمى به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل.

فالتحريف في النصوص، والتعطيل في المعتقد، والتكييف في الصفة، والتمثيل في الصفة، إلا أنه أخص من التكييف؛ فكل ممثل. مكيف، ولا عكس وحقيقة تأويلهم التحريف، وهو صرف اللفظ عن ظاهره،

قوله : وأعظم نهي نهي الله عنه، الشرك به، وهو : أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده
بغير ذلك، من أنواع العبادة ؛

فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذهُ ربّاً، وإلهاً، وأشرك مع الله غيره،
أو يقصده بغير ذلك، من أنواع العبادة . وقد تقدم، من الآيات ما يدل على أن هذا
هو الشرك، الذي نهى الله عنه، وأنكره على المشركين.....

الكلام على الشرك في عدة مسائل :

○ المسألة الأولى:

تعريف الشرك: لغة: هو اسم للشيء الذي يكون بين اثنين فصاعداً تقول:
قد اشترك الرجلان.

شرعاً : تسوية غير الله بالله؛ فيما هو من خصائص الله، سواء كانت التسوية
في الربوبية، أو في الإلهوية، أو الأسماء والصفات .

راجع حاشية بن قاسم على كتاب التوحيد (ص : ١٥). وانظر في تعريفه و بيان
أنواعه الدرر السنية (١٣٠ / ١٩٧، ١٣٣، ١٠)

قال شيخ الإسلام /: وَالشِّرْكُ: أَنْ تَجْعَلَ لِغَيْرِهِ شَرْكًا، أَي: نَصِيبًا - فِي عِبَادَتِكَ
وَتَوَكُّلِكَ وَاسْتِعَانَتِكَ. اهـ مجموع الفتاوى (١ / ٧٤).

○ المسألة الثانية:

خطورة الشرك:

● أنه أعظم الذنوب .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

قال شيخ الإسلام: اعلم رحمك الله أن الشرك بالله أعظم ذنب عصي الله به. اهـ

● وأنه أكبر الكبائر .

كما في حديث أبي بكرة أن النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟) ، ثلاثاً. قلنا: بلى

يا رسول الله : قال : (الإِشْرَاقُ بِاللَّهِ،...) رواه البخاري برقم

(٢٦٥٤)، ومسلم برقم (٢٥٥) .

● وأنه محبط لجميع الأعمال .

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [الأنعام: ٨٨]

● وأنه لا يغفره الله .

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ

يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]

● وأن المشرك حلال الدم والمال .

فقد قال رسول الله ص: (أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مَنِي مَالِهِ وَنَفْسِهِ إِلَّا بِحَقِّهِ ، وَحَسَابُهُ عَلَى اللَّهِ).
راجع البخاري حديث رقم (١٣٩٩، ٣٩٣، ٢٥)، ومسلم رقم (١٢٨، ١٢٧، ١٢٦) .

● وأن المشرك لا تُقبل فيه شفاعة يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨]

● وأن المشرك لا تُسمع له دعوة يوم القيامة .

قال تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ ، [المرسلات : ٣٥ -

[٣٦]

● وأن المشرك تُحرم عليه الجنة، ويخلد في النار، إن مات على ذلك.

قال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ

النار وما للظالمين من أنصار ﴾ [المائدة : ٧٢]

● وأن المشرك لا يُقبل له عمل عند الله حتى يدع شركه .

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى : (أنا أغنى الشركاء

عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه) . رواه مسلم

برقم (٧٤٠٠) .

○ المسألة الثالثة:

أنواع الشرك، وضابط كل نوع:

الشرك قسمان :

● **شرك أكبر.**

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، فهذه الآية في الشرك الأكبر بلا نزاع بين العلماء.

● **شرك أصغر.**

فقد جاء عن محمود بن لبيد قال: قال رسول الله ص: (إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ) قالوا: وما الشرك الأصغر؟ قال: (الرياء) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٦٣٦)، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (٩٥١)، وشيخنا يحيى الحجوري في تحقيقه على "إصلاح المجتمع" (ص: ٢٦)...

● وهناك من أهل العلم من قال: ثلاثة أقسام، بإضافة الشرك الخفي؛ لكن الصحيح أنها قسمان؛ لأن الشرك الخفي يندرج تحت الشرك الأصغر.

قال العلامة الفوزان: الشرك الأصغر قسمان :

● **شرك ظاهر على اللسان والجوارح وهو:** أفعال، وأفعال؛ فالألفاظ: كالحلف بغير الله، والأفعال: مثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء إذا اعتقد أنها سبب .

• شرك خفي وهو: الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة). اهـ
مختصر من (عقيدة التوحيد) ص: ٩٦-٩٧.

ضابط الشرك الأكبر :

كل شيء أطلق عليه الشرع أنه شرك، وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه . راجع فتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٠٢).

ضابط الشرك الأصغر :

ذكر له العلماء ضوابط عدة، أجمعها، وأحسنها هو ضابط اللجنة الدائمة للإفتاء قالوا في ضابطه:- هو كل ما نهى عنه الشرع، مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر، ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا.
راجع: [فتاوى اللجنة ١/ ٧٤٦] جمع الدويش، وراجع: [القول المفيد- لابن عثيمين] في أقوال العلماء في ضابط الشرك الأصغر، في باب (من تبرك بشجر أو أو حجر).

الفروق بين الشرك الأكبر والأصغر على قسمين:

أ- فروق في الدين:

١- صاحب الشرك الأكبر يعتبر كافرًا مرتدًا عن ملة الإسلام، و صاحب الشرك الأصغر يعتبر فاسقًا من عصاة المسلمين.

٢- صاحب الشرك الأكبر حلال الدم والمال، و صاحب الشرك الأصغر لا يحل دمه وماله.

٣- صاحب الشرك الأكبر لا يُورث ولا يرث قريبه المسلم، و صاحب الشرك الأصغر يُورث، ويرث قريبه المسلم.

٤- صاحب الشرك الأكبر لا تجوز الصلاة خلفه ولا تصح، و صاحب الشرك الأصغر تجوز الصلاة خلفه وتصح.

٥- صاحب الشرك الأكبر يجب إخراجه من جزيرة العرب ويمنع من دخول مكة والمدينة، و صاحب الشرك الأصغر لا يخرج من جزيرة العرب، ولا يُمنع من دخول مكة والمدينة.

٦- صاحب الشرك الأكبر لا يُسلم عليه، و صاحب الشرك الأصغر يُسلم عليه.

٧- صاحب الشرك الأكبر لا يُنكح، ولا تصح ولايته في النكاح على مسلمة، و صاحب الشرك الأصغر يُنكح وتصح ولايته في النكاح على مسلمة .

٨- صاحب الشرك الأكبر لا تُؤكل ذبيحته، و صاحب الشرك الأصغر تُؤكل ذبيحته.

٩- صاحب الشرك الأكبر يُبغض بغضًا كليًا، و صاحب الشرك الأصغر لا يُبغض بغضًا كليًا؛ ولكنه يستحق الهجر والتحذير منه بعد إقامة الحجة إذا دعت المصلحة إلى ذلك.

١٠- صاحب الشرك الأكبر يُفارق بينه وبين زوجته المسلمة، و صاحب الشرك الأصغر لا يُفارق بينه وبين زوجته المسلمة.

١١- صاحب الشرك الأكبر لا يولى على المسلمين، و صاحب الشرك الأصغر يجوز أن يولى على المسلمين.

١٢- صاحب الشرك الأكبر يستتاب فإن تاب وإلا قُتل، و صاحب الشرك الأصغر يستتاب فإن تاب وإلا عُرِّر.

١٣- صاحب الشرك الأكبر لا يُغسَّل، ولا يُكفَّن، ولا يُصَلَّى عليه إذا مات، ولا يُدفن في مقابر المسلمين، ولا حُرمة لقبره،

و صاحب الشرك الأصغر يُغسَّل، و يُكفَّن، و يُصَلَّى عليه إذا مات، و يُدفن في مقابر المسلمين، وقبره له حُرمة قبور المسلمين.

١٤- صاحب الشرك الأكبر لا يُدعى له بعد الموت، و صاحب الشرك الأصغر يُدعى له بعد الموت.

ب- فروق في الآخرة:

١- أن صاحب الشرك الأكبر يحبط جميع عمله إن مات على الشرك من غير توبة، و صاحب الشرك الأصغر لا يحبط من عمله إلا العمل الذي خالطه الشرك.

٢- صاحب الشرك الأكبر يُحشر مع أهل الكفر، و صاحب الشرك الأصغر يُحشر مع أهل الإسلام.

٣- صاحب الشرك الأكبر لا تقبل فيه شفاعه، و صاحب الشرك الأصغر من أهل الشفاعه.

٤- صاحب الشرك الأكبر تحرم عليه الجنة، ويخلد في النار إن مات عليه من غير توبه، و صاحب الشرك الأصغر لا تحرم عليه الجنة، ولا يخلد في النار إن دخلها بل يُعذب فيها ما شاء الله، ثم يخرج منها .

٥- صاحب الشرك الأكبر لا يغفر الله له ذنبه إن مات من غير توبه، و صاحب الشرك الأصغر تحت المشيئة على الصحيح.

٦- صاحب الشرك الأكبر محجوب عن رؤية الله عز وجل، و صاحب الشرك الأصغر لا يُحجب عن رؤية الله عز وجل.

❁الشرك الأكبر يحصل في الربوبية و الألوهية وفي الأسماء والصفات

مثال: الشرك في الربوبية: كمن اعتقد أن غير الله يرزق، أو يخلق، أو غير ذلك،

مثال: الشرك في الألوهية: كمن صرف نوع من العبادة لغير الله، كالدعاء، أو الرغبة، أو الخوف، أو المحبة،

مثال: الشرك في الأسماء والصفات:

الشرك في الأسماء والصفات ينقسم إلى قسمين :

أ - شـرك تعطيل .

كتعطيل ذات الرب جل وعلا عن ربوبيته، كما قال فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾
النازعات: ٢٣.

ب - شـرك تمثيل : وهو على قسمين :

١ - تشبيه المخلوق بالخالق، كفعل النصارى الذين شبهوا عيسى عليه السلام بالله عز وجل، فجعلوه إلهًا.

٢ - تشبيه الخالق بالمخلوق، كما فعلت الممثلة حيث قالوا : صفات الله كصفاتنا.

❁ مسأله:

هل الشرك في نوع من أنواع التوحيد يستلزم الشرك فيها كلها ؟

قال الشيخ حافظ حكمي رحمته: في كتابه (٢٠٠ سؤال في العقيدة) سؤال رقم (٧٣).

نعم، هي متلازمة؛ فمن أشرك في نوع منها فهو مشرك في البقية مثال ذلك:

دعاء غير الله وسؤاله ما لا يقدر عليه إلا الله فهذا شرك في الألوهية، وسؤاله إياه تلك الحاجة؛ من جلب خير، أو دفع شر معتقداً أنه قادر على قضاء ذلك هذا شرك في الربوبية.

ثم إنه لم يدع هذا الدعاء من دون الله إلا مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب في أي وقت كان، وفي أي مكان، ويصرحون بذلك وهو شرك في الأسماء والصفات، حيث اثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعات لا يحجبه قرب، ولا بعد فاستلزم هذا الشرك في الألوهية، الشرك في الربوبية والأسماء والصفات). اهـ مختصراً

مسألة :

هل الشرك الأصغر داخل تحت المشيئة؟

أ- من أهل العلم من قال : إنه داخل تحت المشيئة، وإن قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: الشرك الأكبر.

وقوله تعالى : ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ يعني الشرك الأصغر والكبائر، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو ظاهر كلام ابن القيم، والسعدي، وعليه فتاوى اللجنة الدائمة، حيث قالت :
الشرك الأصغر لا يخرج من ارتكس فيه من ملة الإسلام، ولكنه أكبر الكبائر

بعد الشرك الأكبر..، ولا يخلد صاحبه في النار إن أدخلها كسائر مرتكبي الكبائر من أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة . اهـ

ب - ومن أهل العلم من قال إنه ليس داخل تحت المشيئة؛ قال شيخ الإسلام رحمته :
الشرك لا يُغفر منه شيء؛ لا أكبر ولا أصغر، على مقتضى عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً، لكن شركه لا يُغفر له بل يُعاقب عليه، وإن دخل بعد ذلك الجنة. اهـ

قال الشيخ ابن عثيمين رحمته :

شيخ الإسلام اختلف قوله؛ فمرة يقول الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغرًا، ومرة يقول الشرك الذي لا يغفره الله هو الشرك الأكبر. اهـ

قال شيخنا يحيى بن علي الحجوري: قول الجمهور هو الراجح، والله أعلم.

❦ فائدة:

الشرك والكفر قد يطلقان بمعنى واحد وهو الكفر بالله، فيكونان اسمًا لمن لا إيمان له. وقد يفرّق بينهما؛ فيخص الشرك بقصد الأوثان وغيرها من المخلوقات وصرف العبادة لغير الله فيكون الكفر أعم؛ فمن صرف نوعاً من العبادة لغير الله كالذبح كان كافرًا ومشركًا، ومن جحد وجوب الصلاة كان كافرًا ولا يقال فيه مشرك . اهـ

راجع فتاوى ابن عثيمين ٢/ ٢٠٣ والقول المفيد ٢/ ٣٩١ في باب: من تبرك بشجر أو حجر]. راجع حاشية بن قاسم على الأصول الثلاثة ص: ٣٦.

❖ فائدة:

الخوف من الشرك دلالة على كمال التوحيد:

إن عدم الخوف من الشرك دليل على ضعف التوحيد، والدليل أن الخليل إبراهيم عليه السلام دعا الله أن يجنبه الشرك في عبادة الأصنام لقوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]

قال العلامة سليمان بن عبد الله رحمه الله :

فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه من عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره ؟

وقال إبراهيم التيمي رحمه الله : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم .

وهذا يوجب للقلب الحي، أن يخاف من الشرك، لا كما يقول الجاهل : إن الشرك لا يقع في هذه الأمة، ولهذا آمنوا الشرك فوقعوا فيه. اهـ

تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، في باب: (الخوف من الشرك صفحة ٨٥).

وقد جاء أن الرسول ﷺ قال لأصحابه: أخوف ما أخاف عليكم، الشرك الأصغر. وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه - وهم خيرة الخلق بعد الأنبياء - أن يستعينوا من

الشرك، قال أبو موسى الأشعري رحمه الله: خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: (يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من ديب النمل، فقال له: من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه، وهو أخفى من ديب النمل يا رسول الله؟ قال: قولوا: (اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه). رواه أحمد وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩/١) من حديث أبي موسى، وفي صحيح الجامع برقم (٣٧٣١) عن حذيفة.

بل قد كان إمام الموحدين رحمه الله يستعيذ من الشرك، فيقول: (أعوذ بك من شر نفسي، و شر الشيطان، و شر كه) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه، عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٥٠٦٧) وشيخنا مقبل الوادعي في الجامع الصحيح (٥٣٣/٢).

قوله: وقد قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا} [النساء: ٤٨]
وقال تعالى: {إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ} [المائدة: ٧٢].....

جاءت هذه الآية في القرآن، في موضعين كليهما في (سورة النساء)

فتتمتها في الآية الأولى: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا)
[النساء: ٤٨]، وتتمتها في الآية الثانية: (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا) [النساء: ١١٦]،

والآيات فيها أحكام الشرك الأكبر وقد تقدم الكلام عليها.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

تم بعون وتوفيقه لباحولنا ولا بقوتنا التعليق على هذه الرسالة النافعة الماتعة نفع الله

بها كما نفع بأصلها

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين

أم عامر المروعية

غفر الله لها ولوالديها ولجميع المسلمين

دار الحديث بدماج حرسها الله - ١٥ / ذي القعدة / ١٤٣٤ هـ

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة العلامة يحيى بن علي الحجوري	٢
مقدمة الشارح	٣
الكلام على البسمة	٨
الكلام على الحمد لله رب	١٠
الكلام على الصلاة على النبي ﷺ	١٥
الكلام على العبادة	١٩

أنواع العبادة، التي لا تصلح إلا لله من أنواعها الدعاء.....	٢٤
والاستعانة.....	٤٣
والاستغاثة.....	٥٠
وذبح القربان.....	٥٦
والنذر.....	٦٠
والخوف.....	٧١
والرجاء.....	٧٥
والتوكل.....	٨٠
والإنابة.....	٨٦
والمحبة.....	٩١

الموضوع	الصفحة
والخشية.....	٩٥
والرغبة.....	٩٩
والرهبة.....	١٠٢
والتأله.....	١٠٥
والركوع.....	١٠٦
والسجود.....	١٠٨
والخشوع.....	١١١
والتذلل.....	١١٨
والتعظيم.....	١٢٠

١٢٣ ودليل الدعاء
١٢٦ ودليل الاستعانة
١٢٨ ودليل الاستغاثة
١٣٠ ودليل الذبح
١٣٢ ودليل النذر
١٣٣ ودليل الخوف
١٣٥ ودليل الرجاء
١٣٧ ودليل التوكل
١٣٨ ودليل الإنابة
١٤٠ ودليل المحبة

الموضوع	الصفحة
..... ودليل الخشية	١٤٤
..... ودليل الرغبة، والرغبة	١٤٥
..... ودليل التأله	١٤٧
..... ودليل الركوع، والسجود	١٤٨
..... ودليل الخشوع	١٤٩
..... الكلام على التوحيد في مسائل	١٥١
..... الكلام على الشرك في مسائل	١٥٧
..... فهرس المحتويات	١٧٠



تم بحون الله
عامر المصممي
للطباعة والتنسيق

دماج: ٧٣٤٩٠٤٣٥٦ - ٧١٢٠٢٣٣٧٣